MAG225-13/01

سجل تحت رقم 1890/
بتاريخ 07 جوان 2008
الرقم

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة تعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم اللغات و الأدب العربي

سلاسل المتشابهة من خلال القرآن الكريم
دراسة بيانية

من إعداد الطالبة:

حليمة تواتي

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد موسوني

أعضاء المناقشة:

أ- د: طول محمد / رئيسا

د: موسوني محمد/ مشرفا

د: مصطفاوي عبد الجليل / مناقشا

د: سلامي عبد القادر / مناقشا

أطروحة جامعية لنيل شهادة ماجيستير في فقه اللغة

2005 / 2004

مقدّمة

إنّ الحمد لله حمدا أثنى به الله تعالى على نفسه في بداية كتابه فقال " الحمد لله رب العالمين " وأثنى به في ختام سورة فقال " سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله ربّ العالمين " والصّلاة والسّلام على المصطفى أفضل الأنبياء وخاتم المرسلين ، صلاة وسلاما مثلا زمين إلى يوم الدين وبعد :

فإنّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلف عن كثرة الرد ، وهو معجزة الله في سماواته تتلوه الملائكة الكرام في صحف مكرّمة مرفوعة مطهّرة لقوله عزوجل" في صحف مكرّمة مرفوعة مطهّرة بأيدي سفرة كرام بررة "(عبس:13-16)

وهو معجزة الله في أرضه وسمواته محفوظ بعنايته من التبديل والتغيير إلى قيام الساعة لقوله عزوجل " إنّا نحن نزّلنا الذكرى وإنّا له لحافظون " (الحجر: 9) وقوله " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ" (البروج : 21- 22) .

ومن هنا كثرت حوله الدراسات وتشعبت عبر العصور فمنها ما هو أعرابي ومنها ما هو بياني ومنها ما تعلق بأسباب النزول والتفسير والتأويل ..

ولنا أن نشير في هذا المقام إلى أن عناية علماء المسلمون بعلوم القرآن ابتدأ بها الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد كان الصحابة يحرصون على تلقي القرآن الكريم من الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظه وفهمه . وكان ذلك شرفا لهم .

فالخليفة ذو النورين هو أوّل من جمع المسلمين على مصحف واحد وسمّي بالمصحف الإمام ، وأرسلت نسخ منه إلى الأمصار ، وسميت كتابته بالرّسم العثماني نسبة إليه ويكون بذلك أول من وضع الأساس لعلم الرّسم العثماني .

والخليفة عليّ كرّم الله وجهه أمر بالأسود الدولي أن ينقط القرآن ويضع قواعد النحو صيانة لسلامة النطق وضبطا لقرآن الكريم . فكان بذلك أول منت وضع الأساس لعلم إعراب القرآن[1] .

---

1) غازي عناية هذى الفرقان في علوم القرآن 15 دار الشهاب باتنة 1408-1988- ص 11

ثم استمر الصّحابة يتناقلون معاني القرآن وعلومه وتبعهم علماء اللغة في ذلك من المسلمين ومن جاء بعدهم إلى يوم الدين .
والقرآن الكريم هو كتاب " كما أنّ ظاهرة حجّة على فصحاء العرب بنظمه ، فكذلك باطنه حجّة على علماء العجم بحكمه وعلمه ، وكما أنّ ظاهرة مربوط بنظم لا يتطرق إليه عيب ، فكذلك باطنه مبسوط بحكم لا تبقى معه مادّة لريب "[1]
ولقد تسابق الفصحاء والبلغاء والحكماء والشعراء في وصف هذا القرآن وسرد محاسنه وفضائله ، ولكنّنا لا نجد أبلغ ولا أسمى من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن إذ يقول " كتاب الله فيه نبأ من قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبّار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلف عن كثرة الردّ ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا " إنّا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فأمنّا به " من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم " . رواه الترمذي [2]
ومن ذلك فالقرآن الكريم هو كتاب الحياة كلّها ، لما جاء به من قضايا وما عالجه من مشكلات وما احتواه من حوارات وقصص وأخبار الغيب واستعان به لوجدان الإنسان[3] فهو خليق أن يعطي كل جيل على قدر ما تمكّنه ثقافته ويسمو إليه فهمه .
ولقد ألقيت بدلوي في الدلال وتخيّرت باقة نضرة من أساليب فتحدثت عن واد من أودية التعابير اللغوية العربية فيه ، ألا وهو التشابه بين الجمل القرآنية ، لما يحمله من توجيه وإرشاد وما يتميز به من أسرار البيان .

---

1) آرث جفري " مقدمتان في علوم القرآن " (مقدمة كتاب المباني و مقدمة ابن عطية) ط 2 ، 1972 ، ص 5 .

2) نقلا عن محمد علي الصابوني " التبيان في علم القرآن" مكتبة الرحاب ط 3 ص 6

3) محمد توفيق التبع"واقعية المنهج القرآني" منشورات المكتبة العصرية صيدا – بيروت- 1983 ص 14

وقد اتجهتُ في هذه الدراسة إلى الكشف عن أهمية الدّرس القرآني والنحوي والبلاغي في ظلّ الأسلوب القرآني . وإلى بيان مدى شيوع أسلوب التشابه بين الجمل القرآنية وإلى إيضاح الأنماط التّعبيرية فيه ومواطن استخدامها .

وقد دفعني إلى القيام بهذه الدراسة أمران :

1) محاولة منّي في الكشف عن أسرار الإعجاز في كتاب الله ، وذلك في ربط الدّرس اللغوي والأدبي بالقرآن الكريم .
2) الرغبة في معرفة ما يشتمل عليه التشابه القرآني من أسرار البيان .

كما دفعني إلى ذلك تقديسي لكتاب الله من جهة ، وما وجدته من إشارات متضمنة في كتب التفسير ، وعلوم القرآن تتعلّق بموضوع بحثي من جهة أخرى .

ولقد توخيت في هذا البحث السهولة واليسر فعمدت إلى :

الحديث عن علم المتشابه بصفة عامة حسب ما وجدته في كتب علوم القرآن ، ثم علم المتشابه من خلال القرآن الكريم وذلك بإعطاء الأمثلة والوقوف على مواطن الاختلاف والاتفاق من جهة ، وعلى المستوى البلاغي والفني من جهة أخرى .

أما طبيعة الدراسة فقد جاءت وصفية تحليلية مستوحاة من القرآن الكريم في طريقة عرضه الوصفية لموضوعاته[1] .

وقد قسّمت هذا البحث يعد المقدّمة إلى مدخل وفصلين وخاتمة :

المدخل: ووقفت فيه عند الجملة العربية بالمفهوم اللغوي ، ثم الاصطلاحي الذي أشرت من خلاله إلى تعريف الجملة عند النحويين وعند البلاغيين ، رغبة منّي في توضيح المسلك التعبيري الذي في ضوئه يرتسم أسلوب التشابه بين الجمل القرآنية .

الفصل الأول: وقد عنونته بـ " البناء اللغوي للجملة المتشابهة " وهو عبارة عن دراسة الجمل المتشابهة مع غيرها في البناء والتركيب مع ذكر التوافق والاختلاف الوارد بينها في المعنى أو المبنى بالاعتماد على أسباب النزول – إن وجدت – وعلى اللغة بفنونها وعلومها الكثيرة

---

1) سيد قطب " مشاهد يوم القيامة في القرآن " دار المعارف ، مصر ط 5 .1976 ص 8

كالجانب النحوي من ناحية الإعراب ، والجانب الصرفي من ناحية الاختلافات التي تطرأ على الكلمات من إدغام ولإظهار واشتقاق وغيرها والجانب الدلالي من ناحية شرح المفردات وتبيان دلالتها .
ولتوخي الدقة والتنظيم في عرض الأمثلة القرآنية اتبعت الأضرب التي جاء بها الزركشي في كتابه " البرهان في علوم القرآن " حول علم المتشابه .
وقد اتخذت هذه الأضرب كعناوين أو مباحث للفصل الأول وهي :

1) التقديم والتأخير .
2) الزيادة والنقصان .
3) التعريف والتنكير .
4) أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه .
5) الجمع والإفراد .
6) إبدال حرف بحرف .
7) إبدال كلمة بكلمة .
8) الإدغام وتركه .

ولقد ذكرت في كل ضرب الأمثلة القرآنية الخاصة به مع التحليل والإشارة إلى مواطن التوافقات والاختلافات .
الفصل الثاني : وجاء بعنوان " البناء البياني للجملة القرآنية المتشابهة " وهو عبارة عن دراسة الجمل المتشابهة مع غيرها من الناحية الفنية والجمالية مبنية في ذلك الأسرار البيانية وقد قسمته إلى عناوين أساسية هي :

1) التوكيد.
2) الحذف والذكر .
3) الإيجار .
4) التكرار .
5) الحشد الفني .

الخاتمة: وأودعتها أهم النتائج المتوصل إليها ، وإلى أي مدى كانت تلك النتائج نخدم – ولو بصفة بسيطة – الجانب البلاغي والفني في القرآن الكريم .

وإن تكن من كلمة في آخر هذه المقدمة . فإنني أود أن أشكر أستاذي الفاضل ومرشدي ومشرفي الأستاذ الدكتور محمد موسوتي على ما أولاني من عناية وما خصّ به بحثي من توجيه وإرشاد . فله مني جزيل الشكر وأعظم التقدير والاحترام .

وعلى كل فقد اجتهدت في إنجاز هذه الرسالة ولا أدري ،أأصبت أم لا ؟. فإن كانت الأولى فذاك ما كنت أبغي والله أسأل الشداد والعفو ، وأساله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وأن يكتب لي به حسنة أدخرها ليوم " لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم "

ربّنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير

المـــــدخـــــل

مباحث المدخل:

1- الجملة لغة
2- الجملة اصطلاحا
أ- الجملة عند النحويين
ب- الجملة عند البلاغيين

الدّراس لبيان الجملة القرآنية لا يملك نفسه إذا ما انكشف له سرّ من أسرار بنائها أو جانب من جوانب التوافق والتخالف فيها . فيزيده ذلك إيمانا بربّانية الكتاب المبين وسمّوه على مستوى كلام البشر ، ويصل إلى أن كل ما فيه يدعوا إلى الاقتتان والإعجاب لأنّ كل ما فيه معجّز وسواء في ذلك المستويان: المضمون والشكل ، أمّا المضمون فموضوعات القرآن الكريم عقيدة وتشريع ومعاملات ، فجاءت مسايرة لفطرة الإنسان في الزمان والمكان تامة كاملة ، يقول تعالى << **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** >> . (المائدة)

أما الشكل فيمكننا قراءته من جانبي الكلمة القرآنية المفردة والجملة القرآنية ونحسب أننا أمام مصطلحين – كلمة مفردة ، وجملة أسقطناهما على كلام الله عزوجل هذا وإذا نقتصر في بحثنا هذا على بحث الجملة القرآنية فقط . نتساءل هل هذا الاصطلاح يصدق على كلام الله؟

بمعنى آخر: هل الجملة القرآنية تخضع لنفس المقاييس اللغوية التي تخضع لها الجملة في كلام العرب؟ لعلّ الإجابة على هذا السؤال تتطلّب منّا أوّلا الوقوف على تعريف الجملة .

1- الجملة لغة:

الجملة واحدة الجمل، وهي جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة وأجمل له الحساب كذلك، والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره، يقال أجملت له الحساب والكلام، قال الله تعالى << **لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة** >> **(الفرقان)**

وفي حديث القدر: كتاب فيه أسماء أهل الجنة والنار أجمل على آخره فلا يزاد فيهم ولا ينقص[1] . وأجملت الشيء إجمالا إذا جمعته عن تفرقة وأكثر ما يستعمل في الكلام الموجز. فيقال أجمل فلان الجواب[2] .

فالجملة لغة تعني إذا:جمع الشيء وإحصائه بعد التفرقة وإكماله حتى صار تاما ولا يزاد فيه ولا ينقص.

1- ابن منظور : لسان العرب ، دار بيروت للطباعة ج 11 ص 128.

2- ابن ذريد : جمهرة اللغة دار صادر للطباعة ط1 . ج1 ص111

2- الجملة اصطلاحا :

لقد ارتأينا في التعريف للجملة أن أتطرق إليه من جانبين أساسيين نحسب أنهما متداخلان ، الاصطلاح النحوي والاصطلاح البلاغي لها .

أ) الجملة النحوية:

إن الباحث في التراث العربي سيعثر حتما على مصطلح الجملة في عدة كتب، بل قد يجدها عنوانا للعديد من المؤلفات ولعلماء مشهورين في الدّراسات اللغوية أمثال:

- الخليل بن احمد (ت 175 هـ)
- ابن السرّاج محمد بن السرّي (ت 316 هـ) .
- الزجاجي عبد الرحمن ابن إسحاق (ت 337 هـ)
- ابن خالوية (ت 370 هـ)
- عبد القادر الجرجاني (ت 471 هـ)

لكن على الرغم من أن هذه المؤلفات تحمل اسم << الجملة >> إلا أنّها جاءت عبارة عن كتب عامة في النحو وما يتعلق به . والحقيقة أن الكتب الخاصة بالجملة ودراستها لا نكاد نعثر عليها بالقدر الكافي وبالأخص قبل القرن الثامن هجري. اللهم إلا ما نجمعه من هنا وهناك أو نصادفه في أمّهات الكتب[1] .

فسبوية مثلا نجده يتحدث في الكتاب وهو أهم مصدر في مجال الدراسة اللغوية عن أركان الجملة وأنواعها ونظامها ، ولا نقرأ له تعريفا محدّدا لمصطلح الجملة .

والجملة عنده هي التي تتكون من ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه ، إضافة إلى ما يدخل عليها من حروف وأدوات لكنها لا تزيل معنى الإسناد[2] .

ويعرّف سبوية المسند والمسند إليه قائل ا<< هما لا يغني أحدهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدّا . فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه وهو قولك عبد الله أخوك ، وهذا أخوك ومثل ذلك يذهب

---

1) مختار بوعناني << نحو الجمل تحقيق التعليقات الوافية على شرح الأبيات الثمانية للعلامة عبد العزيز محمد بن يوسف >> ص 146 الفجر للكتابة والنشر . وهران .

2) سبوية << الكتاب >> ج 2 . دار الجيل بيروت ط 1 ص 125 .

عبد الله . فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بدّ من الآخر في الابتداء>> [1].

ونلحظ من هذا النص أن التكوين الأساسي للجملة عند سبوية هو إما فعل واسم . والإشارة هنا إلى الجملة الفعلية أو اسم واسم أي المبتدأ والخبر ويعني الجملة الاسمية .

ويربط ابن جني اصطلاح الجملة بالكلام << فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ،وهو الذي يسميه النحويّون الجمل، نحو: زيد أخوك ، فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه >> [2]

وحتى لا يقع اللبس بين الجملة والكلام والقول فقد أوجد ابن جني فرقا بينهما في قوله : << ومن أدلّ الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أن يقول القرآن كلام الله ولا يقال القرآن قول الله فعبّر لذلك عنه بالكلام الذي لا يكون إلا أصواتا تامة مفيدة وعدل به عن القول الذي قد يكون أصواتا غير مفيدة وآراء معتقدة ، وبذلك يكون الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها وأنّ القول لا يستحق هذه الصفة >>[3] .

وعليه يُفهم من كلام ابن جني أن الجملة هي اللفظ المستقل التام والمفيد .

ولقد تحدث ابن مالك أيضا عن الجملة في ألفيته ، إلا أنّه لم يحصر ذلك في مكان واحد من ألفيته بل جاء مبثوثا هنا وهناك . وقد بدأ الحديث في هذا الموضوع من البيت الثامن والتاسع أما ما جاء بعدهما فمتعلق بالنحو عامّة . يقول ابن مالك (ت 672 ه) :

كلامنا لفظ مفيد كإستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم
واحده كلمة والقول عمّ وكلمة بها كلام قد يؤم

ممّا سبق فالكلام عبارة عن اللفظ المفيد . فائدة يحسن السكوت عليها . وهو لا يتركب إلا من ركنيين هما إمّا اسمين كالمبتدأ والخبر أو من فعل

---

1) سبوية * الكتاب * ص 126

2) ابن جني << الخصائص >> دار الهدى للطباعة بيروت ج 1، ط 2 ، ص 17

3) ابن جني << الخصائص >> دار الهدى للطباعة بيروت ج 1، ط 2 ، ص 18

واسم . كإستقم . فكأنّه أراد أن يقول أن الكلام هو اللفظ المفيد كفائدة استقم – لأنّها مركبة من فعل واسم والتقدير << استقم أنت >>[1]

وكما أسهم علماء النحو القدامى في هذا الموضوع وأدلى كل واحد منهم بدلوه . فقد أسهم باحثون محدثون في ذلك أيضا . كعبّاس حسن في كتابه<< النحو الوافي >> والذي ورد فيه أن << الكلام أو الجملة هو ما تركب من كلمتين أو أكثر وله معنى مفيد مستقل أي المقصود بذلك توفره على أمرين معا هما: التركيب والإفادة المستقلة>>

ويعطي مثالا آخر لتوضيح كل منهما فيقول<< فلو قلنا << أقبل>> فقط . لم يكن هذا كلاما لأنّه غير مركب . ولو قلنا أقبل صباحا . لم يكن هذا كلاما أيضا لأنه على الرغم من تركيبه فهو غير مفيد فائدة يكتفي بها المتكلّم أو السّامع >> [2] .

وأول تقسيم قسّمت به الجملة هو تقسيمها من حيث ركنيها أي أنها تنقسم من حيث ذلك إلى قسمين : جملة اسمية وجملة فعلية ولكلّ واحدة منهما أركان أيضا . ولا شك أن هذا التقسيم يتفق عليه جلّ علماء النحو. فسبوية يتحدّث عن أركان الجملة الاسمية أركان الجملة الفعلية ، وهما في الواقع حسب رأيه اثنان :

المسند والمسند إليه . فإن كان كلاهما اسمين جاءت الجملة اسمية وبالتالي يكون المسند مبتدأ والمسند إليه خبر<< والمبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام،والمبتدأ والمبني عليه الرفع ، فالابتداء لا يكون إلا بمبنيّ عليه فالمبتدأ الأول والمبنيّ ما بعده عليه فهو مسند ومسند إليه>> [3] .

أمّا إن جاء المسند فعلا والمسند إليه فاعلا كانت الجملة فعلية " فركنا الجملة الفعلية هما الفعل والفاعل . فالفاعل لا يستغني عن الاسم. فلابد للفعل من اسم، كما لم يكن للاسم الأوّل من الآخر في الابتداء فالفعل مسند والفاعل مسند إليه " [4]

---

1) ابن عقيل " شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك" دار الكتب العلمية بيروت ج 1 ، ط1، ص19 125 .

2) عباس حسن " النحو الوافي" دار المعارف – مصر- ج1 / ط 5 / ص 16

3) سبوية " الكتاب " ج 2 /ص 126

4) المصدر نفسه ج 2/ ص 6

وتقسيم الجملة إلى مسند ومسند إليه نجدها أيضا عند الخليل وقد أكد أنّ الكلام لابدّ له من ركنين فعلى سبيل المثال إذا كانت الجملة اسمية وابتدأت باسم فلابدّ لها من الركن الثاني وهو الخبر ، والشيء نفسه مع الجملة الفعلية[1].

وهناك من أضاف إلى هذا التقسيم نوعا آخر من الجمل واعتبر أن الجملة من حيث الأركان تنقسم إلى ثلاثة أقسام . مضيفا إلى التقسيم الأول الجملة الشرطية وهي التي عرّفها ابن هشام الأنصاري على أنها المصدّرة بظرف أو مجرور نحو : أفي الدار زيد[2] .

وللجملة تقسيم آخر متفق عليه عند جمهور العلماء وهي الجملة الكبرى والجملة الصغرى .

فالجملة الكبرى هي الاسمية التي خبرها جملة نحو: زيد قام أبوه. أمّا الجملة الصغرى هي المبنية على المبتدأ كالجملة المخبر بها في المثال السابق أي الواقعة خبرا وبدورها تنقسم الجملة الكبرى إلى قسمين : ذات الوجهين ، وذات الوجه . فذات الوجهين كما يعرّفها ابن هشام هي اسمية الصدر فعلية العجز مثل : زيد يقوم أبوه وذات الوجه كزيد أبوه قائم أي اسمية الصدر والعجز[3] .

أمّا تقسيم الجمل من الناحية الإعرابية فقد قسّمها علماء النحو إلى قسمين : أوله الجمل التي لا تحل محلّ المفرد وهي التي لا محلّ لها من الإعراب أمّا القسم الثاني فهي التي تحلّ محلّ المفرد .

فالجمل التي لا محلّ لها من الإعراب هي التي لا تستخدم في موضع المفرد ، ولا يمكننا أن نقدّر به ، وقد كان اتفاق بين جلّ العلماء على هذا الأمر . لكنّهم اختلفوا في تعدادها، فمنهم من عدّها سبعا كابن هشام ومن دار حوله واتبعه . ومنهم من عدّها اثنتي عشر جملة كأبي حيّان النّحوي (ت 745 هـ) . وقد عدّها أغلبهم عشر جمل[4] هي :

---

1) مصطفى جطل " نظام الجملة عند اللغو بين العرب في القرنين 2 و 3 هـ" ص 17

2) ابن هشام الأنصاري " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب" تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج2 ، ص437.433

3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 440

4) فخر الدين قباوة " إعراب الجمل وأشباه الجمل " دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط- 3 ، ص 33

الجملة الابتدائية :

وهي التي يبدأ بها الكلام لفظا أو تقديرا منها قوله تعالى << كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا >> (37- آل عمران) لأن<< كلّ >> ظرف لـ<< وَجَدَ>> والتقدير : وَجَدَ زَكَرِيَا عِنْدَهَا رِزْقًا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا المِحْرَابَ . فجملة وجد ابتدائية وإن كان قبلها في الظاهر جملة أخرى .

الجملة الاستئنافية:

هي التي يكون قبلها كلام تام وتأتي منقطعة عنه لاستئناف كلام جديد ، وقد تدخل عليها أحرف الاستئناف كالواو والفاء وثمّ وحتى الابتدائية وأمْ المنقطعة وبَلْ وأو التي بمعنى بل ولكن ، كقوله تعالى << سِيرُوا فِي الأَرْضِ ، فانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ، ثُمَّ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ >> (20 العنكبوت) هنا الجملة الاستئنافية جاءت بعد << ثمَّ >>.

جملة الشرط غير الظرفي :

وهي الجملة الفعلية أو الاسمية ، تلي أداة الشرط التي هي ليست من ظروف الزمان أو المكان قوله تعالى<< ... أيًّامَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى>> (110 الإسراء). فجملة " تدعوا " لا محلّ لها من الإعراب ، لأنّها جملة الشرط غير الظرفي.

الجملة الاعتراضية :

وهي التي تعترض بين شيئين متلازمين لتوكيد الكلام أو توضيحه وتكون على علاقة معنوية بالكلام الذي اعترضته . كقوله عزوجل << وإنَّهُ لقَسَمٌ – لوْ تَعْلَمُونَ – عَظِيمٌ >> (76 الواقعة) هنا جاءت الجملة الاعتراضية بين الموصوف والصفة وهي << لو تعلمون >> .

الجملة التفسيرية:

هي التي تكشف حقيقة ما قبلها وتفسّر ما تليه وهي نوعان :

أ) المقترنة بحرف تفسير وهما حرفان : أي كقوله : هذا حسام أي سيف قاطع . فالملاحظ أنّ ما جاء بعد " أي " هو نفس ما كان قبلها في المعنى وإن اختلف مبناه [1]

أمّا الحرف الثاني فهو<< أن>> كقوله << ما قُلْتُ لَهُمْ إلاّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ، أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ رَبِّي وربَّكُم >> (117 المائدة) ويشترط في << أن>> أن يدخل على الجمل وتتقدّمها جملة تامّة بمعنى القول .

ب) المجرّدة من حرف التفسير كقوله تعالى<< إنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُون >> (59 آل عمران) فجملة << خَلَقَ>> تفسير لـ<< مِثْلُ آدَم>> كونهما عليهما السلام خارقين للعادة في ظاهرة الوجود .

جملة جواب القسم:

وهي التي يجاب بها القسم الصريح ، أو المقدّر الذي تدل عليه قرينة لفظية كلام التوكيد في فعل المستقبل المتصل بنون التوكيد فمن القسم الصريح قوله تعالى

<< واقسِموا باللّه جَهْدَ أيْمَانهم ، لاَ يَبْعَثُ اللّه مَنْ يَمُوتُ >> (38 النحل)

ومن القسم المقدّر قوله تعالى<< ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِين>> (35 يوسف)

جملة جواب الشرط غير الجازم:

وهي التي تكون جوابا لإحدى أدوات الشرط غير الجازمة لَوْ ، لَوْلاَ ، لَوْمَا إذا ، لَمَّا ،كيف نحو قوله تعالى << وَإذَا رَأَوْكَ إنْ يَتَّخِذُونَكَ إلاّ هُزُوًا >> (41 فرقان)

جملة جواب الشرط الجازم:

وهي التي تكون جوابا لإحدى أدوات الشرط الجازمة : إنْ إنمَا من ، ما ، مهما ، كيفما ، حيثما ، أينما ، متى ، أيّان ، أنّى ، أي ، ولم تقترن بالفاء الرابطة للجواب أو << إذا>> الفجائية نحو قوله تعالى << وَإنْ تَعُودُوا نَعُدْ >> (19 الأنفال) .

---

1) فخر الدين قباوة " إعراب الجمل وأشباه الجمل "ص 37 ، 42 ، 65 ، 77 ، 81

جملة صلة الموصول [1]:

هي التي تكون صلة لاسم موصول أو حرف مصدري قوله تعالى " رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلاَنَا " (29 فصلت) وقوله أيضا << وأُمَّهَاتِكُم اللاتي أَرْضَعْنَكُمْ >> (23 النساء) .

التّابعة لجملة لا محلّ لها :

وهي اثنان : العطف والبدل أمّا العطف فإذا عطفت الجملة على مالا محل له من الإعراب فهي مثله لأنّ العطف من التوابع نحو قول الله عزوجل << ما نَنْسَخُ مِنْ آيَة أَوْ نُنْسِهَا نَأتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا >> (106 البقرة) عطف << ننس>> على<< ننسخ >> [2]

وفيما يتعلق بالبدل نجد نفس الشيء لأنه تابع أيضا وإذا أبدلت الجملة مما لا محل له كانت مثله بشرط أن تكون أوفى من الأولى في إيصال المعنى : قوله عزوجل << ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهانا >> (69 الفرقان) فجملة << يضاعف >> أوفى من << يلق>> وهي بدل منها [3]

أمّا الجمل التي لها محلّ من الإعراب فهي التي تقوم مقام المفرد ويكون لها إعرابه ، وقد عدّها ابن هشام تسع ، أمّا علماء البيان فقد ضيّقوا نطاقها على ثلاث لكن نجد جمهور علماء النحو يرى أنّها عشر جمل هي[4] :

الواقعة مبتدأ:

وهي التي يسند إليها خبر، ومحلّها الرفع قوله تعالى << سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صائمون >>(193 الأعراف) إذ يجوز أن تكون جملة << دعوتم>> في محل رفع مبتدأ مؤخر وخبره مقدم << سواء>> والتقدير دعوتم وعدمها سواء .

---

1) فخر الدين قباوة " إعراب الجمل " ص 85 ، 93 ، 98

2) المصدر نفسه ص 121

3) المصدر نفسه ص 122

4) المصدر نفسه ص 132

الواقعة خبرا:

وتكون خبرا لمبتدأ أو لفعل ناقص أو لحرف مشبه بالفعل ومحلها الرّفع إذا كانت خبرا للمبتدأ أو للحرف المشبّه بالفعل ، والنّصب إذا كانت خبرا للفعل الناقص أو للحرف المشبه به ، قوله تعالى << والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم >> (34 التوبة) هنا << الذين >> مبتدأ ، دخلت الفاء على خبره وهو جملة << بشر >> الإنشائية .

الواقعة فاعلا:

وهي التي يسند إليها فعل معلق ، أو ما يقوم مقامه ومحلها الرفع ، قوله تعالى<< أ فلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من قرون >> (128 طه) . فاعل<< لم يهد>> هي الجملة التي بعده والتقدير: أفلم يهد لهم إهلاكنا من قبلهم .

الواقعة مفعولا به:

وهي المحكيّة بالقول أو الواقعة في موقع المنصوب بفعل من أفعال التحويل أو ما يقوم مقامه ، قوله عزوجل << قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا >> (18 الأحزاب) .

الواقعة حالا:

وهي التي تبين حالة صاحبها ، ومحلها النصب قوله تعالى << ذلك الكتاب لا ريب فيه >> (2 البقرة) .

الواقعة مستثنى:

وهي التي تستثنى بـ<< إلاّ >> ومحلها النصب قوله عزوجل << فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر ، إلا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الأكبر>> (21 - 24الغاشية) . فالتقدير هنا: لست عليهم بمسيطر إلاّ تعذيب الله من تولى وكفر.

الواقعة مضافا إليه:

وهي التي يضاف إليها اسم ومحلها الجرّ وتقدّر بمصدر نحو قوله عزوجل << يوم هم على النار يفتنون >> (13 الذريات) .

الواقعة جوابا لشرط جازم مقترنة بالفاء أو إذا[1]:

وهي التي تكون جوابا لـ : إن ، إنما ، من ، ما ، مهما ، كيفما أيّان ، أنّى ، حيثما ، أينما ، أيّ ، ويكون محلّها الجزم نحو قول الله عزوجل << وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم إذا هم يقنطون >> (26 : الروم) .

التّابعة لمفرد:

تتبع الجملة المفرد في العطف والبدل والصفة ، فمن العطف نحو قوله تعالى<<ألم يرو إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن>> (19:الملك) عطف فيه << يقبضن>> على<< صافات >> فهي في محل نصب والتقدير: صافات وقابضات ، ومن البدل نحو قوله عزوجل << ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، إن ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم>> (43: فصلت). فالجملة الأخيرة بدل من<< ما>> وهي في محلّ رفع الرّفع، أمّا عن الصفة فنحو قوله عزوجل<< ولن نؤمن لرقيك حتّى تنزّل علينا كتابا نقرؤه >> (93: الإسراء) وصفت جملة << نقرأ >> كلمة << كتابا>> فهي في محل نصب[2] .

التّابعة لجملة لها محلّ:

وهي في بابيّ العطف والبدل ، أمّا عن العطف فتعطف جملة على جملة بالحرف فيكون محلّها الإعرابي تابعا لما عطفت عليه فهي في محلّ جر من قوله عزوجل << اذكروا إذ كنتم قليلا ، فكثّركم>> (76: الأعراف) .

وفيما يخص البدل : فتبدّل الجملة من الجملة إذا كانت المبدلة أوفى من الأولى في المعنى وتكون تابعة لها في موقعها الإعرابي

الجملة عند البلاغيين:

لقد تعامل علماء البلاغة مع الجملة سواء أثناء التعريف أو التقسيم بمصطلح الكلام نذكر منهم :

---

1) إعراب الجمل وأشباه الجمل ، ص 178 ، 189 ، 191 ، 221 ، 230

2) المصدر نفسه ، ص 238 ، 239

1) عبد القادر الجرجاني (ت 471 هـ):

إنّ فهم الجرجاني للكلام أو النظم كما يسمّيه ليس مجرّد تعلّق اللفظ بعضه البعض كما يدّعي الآخرون ، ففكرة النظم عند عبد القادر الجرجاني مستندة أساسا على التعريف بين الألفاظ التي تكون بقصد الإشارة إلى الصورة الباردة للشيء وبين الألفاظ التي تعبّر عن حقيقة الشيء وعن الانفعال ، فحسب رأي الجرجاني أنّ اللفظ[1] مادام مفردا يكون مجرّد إشارة ، لأنه لا يمكنه أن يدلّ على معنى محدّد وإنّما يدلّ على معنى مجرد، وبالتالي فهو يدل على مئات المعاني ومن ثم لا معنى لها أصلا، لذا فهو يرى أنّ السياق هو القادر على منح اللفظة المفردة دلالتها المحدّدة ومعناها الحقيقي ، فبالإضافة إلى أنّه يحدّد قيمة الكلمة المفردة ويحكم عليها بالصلاح أو الفساد ، بالجودة أو الرداءة ، فهو بمثابة المجال الذي يمكن للفظة أن تتحرّك فيه وتعمل وظيفتها ، وبالتالي فهي تستمدّ دلالتها من علاقتها بالكلمات السابقة لها أو اللاحقة بها . وبالتالي فهي شحنة من العواطف الإنسانية والصور الذهنيّة والمشاعر الحيّة إلى جانب ما فيه من معنى عقلي مجرّد .

وهكذا نفهم أن الكلام عند الجرجاني ليس ضم الشيء كيف جاء واتفق وليس الغرض منه أن توالت الألفاظ في النطق بل أن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها وما المعاني هنا إلّا الألوان النفسية المتباينة التي ندركها من استخدام الشاعر أو الكاتب للّغة استخداما يجعل من ارتباط بعضها ببعض نسيجيا حيّا منشعّبا من الصور والمشاعر[2]

فاللغة العربية عموما على كثرة ألفاظها وكلماتها ، فإنّها ليست دائما مكشوفة واضحة أمام خيال الإنسان وشعوره وتصوّراته وأفكاره وهذه الأمور مجتمعة تعدّ سببا في فقدان الدقّة والتعبير والصدق في الكلام البشري ومن ثمّة يغيب التوافق والتطابق بين الألفاظ والمعاني[3]

---

1) " قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث " الدكتور محمد زكي الهشماوي – دار الطباعة– النهضة العربية – ص 305

2) قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ص 305

3) من روائع القرآن " البوطي مكتبة الفارابي ، دمشق سوريا ط 3 . 1975 .ص 134 / 137

2) عند الجاحظ

لقد كان للجاحظ آراء حول النظام الصوتي للغة وحول الكلام بصفة خاصة كانت بمثابة حجز الأساس الذي شكّل به نظامه البلاغي لكنّها جاءت مبثوثة ومشتتة في كتبه فتارة يعبّر عنها صراحة أو تلميحا وتارة أخرى في جملة أو في فقرة وهذا التشتيت هو الذي يدفعنا إلى أن نجمع ما قاله في اللفظ والمعنى لنصوغ منه موقفه الحقيقي من الكلام [1]

إنّ أهمّ ما تحدث به الجاحظ عن اللفظ والمعنى هي ظاهرة المطابقة بينهما ، لأنه بذلك سيتناول علمين في آن واحد هما النحو والبلاغة فالمطابقة عند الجاحظ هي التي تكون داخل الجملة أو التركيب بين الكلمة والكلمة ، فإذا كانت الكلمة ليست في موقعها كما يجب أن يكون . كان الكلام متنافرا وثقيلا على اللسان ، وقد بسّط الجاحظ هذه المطابقة في باب التنافر فيقول << من ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة >>[2] وليس المقصود بهذه المطابقة التأليف الصوتي بين الكلمات فقط ، بل التأليف المعنوي ، فالمسند بالنسبة للمسند إليه كاللفظ بالنسبة للمعنى ومنه تكون للمطابقة بين اللفظ والمعنى مرحلتين :

- **المرحلة النحوية :**

وهي التي يكون فيها التأليف بين الكلمات يتماشى مع ما جاء به العرب في ميدان النحو ، ويكون ذلك بتحقيق علامات الإعراب وتطبيق قواعد اللغة

- **اللغة البلاغية :**

وهي التي يكون فيها الانطلاق من اللفظ نحو المعنى أي إطلاق تركيب لفظي وإرادة معنى أوسع منه ، أي بلوغ المعاني الرّاقية بالألفاظ اليسيرة ، وهذا حسب الحالة التي يعيشها المتكلم

---

1) النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين – محمد الصغير بناني – ديوان المطبوعات الجامعية - ص 67

2) " البيان والتبيين " الجاحظ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . ج 2 ط 3 (د . ت) ص 65 67

وحسب الظروف المحيطة به وهو ما يعرف بالمقام وقد أسماها البلاغيون فيما بعد مقتضى الحال ، ونحن بذلك نستنتج أن الجاحظ كان يحثّ على موافقة الكلام لمقتضى الحال وهذا الأمر على جانب كبير من الأهمية لأنّه يعلّق مصير الكلام بالظروف المحيطة به كيف لا وهو القائل " النّاس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم "[1]

1) " البيان والتبيين " الجاحظ . تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . ج 2 .ط 3 (د . ت) ص 23

الفصل الأول:

I- البناء اللغوي للجملة القرآنية المتشابهة

مباحث الفصل الأول

1- التقديم و التأخير
2- إبدال حرف بحرف أخر
3- أن يكون في موضع على النظم و في الأخر على عكسه
4- ما يشتبه بالزيادة و النقصان
5- ما يشتبه بالتعريف و التنكير
6- ما يشتبه بالجمع و الافراد
7- ما يشتبه بالإدغام و تركه
8- ما يشتبه بإبدال كلمة بكلمة أخرى

الجملة القرآنية المتشابهة:

لقد حفلت جلّ كتب الأخبار واللغة والأدب بكثير من مواقف الانبهار والعجز التي أصابت العرب بعد سماعهم لحلاوة القرآن الكريم وسحره وصنيعه في النفوس على الرغم من أنّهم أصحاب الخطب البليغة والقصائد العجيبة. كيف لا وقد كان الكلام هو شغلهم الشاغل بل كان الكلام سيد أعمالهم، ولا غرابة أن يصيبهم ما أصابهم من الدهشة والذهول إن كانت الجنّ في حدّ ذاتها لم تتمالك أن قالت<< إنّا سمعنا قرآن عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به>> (الجن: 1-2).

و من هنا كان لا بدّ من النظر في سرّ تأثير القرآن الكريم وخصائص نظمه من طرف الباحثين وعلماء اللغة محاولة منهم للاهتداء إلى أسباب إعجازه البلاغي.

ولا شكّ أن الإعجاز البلاغي في كتاب الله عز وجل يؤخذ من جانبين هما اللفظ والمعنى معا لئلا يكون الناظر إلى أيّة آية من القرآن الكريم مقصورا إمّا على مفرداته أو معانيها وكأنّها فقرات متفرقة لأنّه بذلك سينصرف عن روعة انسجام اللفظ مع المعنى وتناسب اتصال الآي بعضها ببعض، فمثل هذا الانسجام والتوافق في كلام البشر غير ممكن مهما سَمَّا الإنسان بألفاظه ومعانيه.

ومن مناظر الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم الجملة القرآنية، والتي لا يملك الدّارس نفسه أمام سحرها وبيانها خصوصا إذا ما انكشف له سرّ من أسرار بناءها من حيث اتّساق ألفاظها وإيقاعها الدّاخلي وتعبيرها عن أوسع معنى بأقصر العبارات وإخراجها المعنى المجرّد في مظهر الأمر المحسوس [1].

هذا وكلما ازداد الإنسان بالقرآن اتصالا، ازداد افتتانه به وازداد إيمانه بربانية الكتاب المبين وسموه على مستوى كلام البشر وقيامه على الإعجاز الشامل.

والجملة القرآنية نوعان: جملة متميزة في بناءها وتركيبها، مختلفة عن غيرها وجملة متشابهة في بناءها وتركيبها مع غيرها[2].

---

1) من روائع القرآن " البوطي مكتبة الفارابي ، دمشق سوريا ط 3 . 1975 .ص 134 / 136

2) مجلة منبر الإسلام العدد 6 السنة 33. جمادى الثانية 1395 مصر ص 49.

ولقد ارتأيت أن أدرس في بحثي هذا بعضا من الجمل المتشابهة التركيب مع غيرها، طامعة في الكشف عن سر التوافق و التخالف، محاولة مني التعرف على شيء من أسرار البناء اللغوي فيها والبناء البياني .
و الحقيقة إن الدارس لكتب التفاسير سيلاحظ أن علم متشابه القرآن، قد أغفله الأئمة المصنفون في تفسير القرآن الكريم في حين قد نجده قد حظي باهتمام بعض علماء اللغة بل وقد أفردوه بالتصنيف[1].
أمثال:
عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي (ت420هـ) الذي تناول الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة وحروفها المتشابهة في كتابه ((درة التنزيل وغرة التأويل)) وقد ذكر الإسكافي في كتابه هذا أنه أول من قرع باب متشابه القرآن الكريم. وممن صنف في هذا العلم بعد الخطيب الإسكافي هو أبو القاسم برهان الدين الكرماني الملقب بتاج القراء ت:500هـ) في كتابه((البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان)).
كما صنف في هذا العلم أيضا علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد الشخاوي (ت:643هـ) في كتابه " هداية المرتاب في المتشابه" ولاح في الأفق العالم أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي الحافظ النحوي " ت: 708 هـ " بكتابه " ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل " وبذلك يكون قد أضاف لبنة أخرى في ميدان علم متشابه القرآن[2] وهناك من العلماء من لم يفرده بالتصنيف واكتفى بالإشارة إليه ولو بإيجاز أثناء تدبّرهم نظم القرآن الكريم أمثال :
بدر الدين محمد بن عبد الله الزّركشي " ت 794 هـ" في كتابه " البرهان في علوم القرآن " والذي تحدّث عن متشابه القرآن الكريم وعرّفه قائلا: "هو إيراد القصة الواحدة في صور شتّى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء، وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكررا" وقد حصره في ثمانية أقسام [3] هي:

---

1) ملاك التأويل القاطع بزي الإلحاد و التعطيل في توجيه متشابه اللفظ من أي التنزيل " ابن الزبير الغرناطي: تحقيق سعيد الفلاح – ج 1/ ط 1/ 1403/1993 دار الغرب الإسلامي لبنان ص 107/106
2) ملاك التأويل الغرناطي- تحقيق سعيد الفلاح – ص 104 ج1
3) ا البرهان في علوم القرآن . الزركشي ج 1 ص 112

الأوّل:
أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه:
و منه كثير في القرآن الكريم مثاله في الآية 58 من سورة البقرة " و ادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطّة " وعكس هذا النظم نجده في الآية 161 من سورة الأعراف " وقولوا حطّة وادخلوا الباب سجّدا "

الثاني:
ما يشتبه بالزيادة والنقصان: ومثاله في الآية 38 من سورة البقرة " فمن تبع هداي " وبالزيادة في الآية 123 من سورة طه " فمن اتبع هداي "

الثالث:
ما يشتبه بالتعريف والتنكير: ومنه في الآية 126 من سورة البقرة " هذا بلدا آمنا " وفي الآية 35 من سورة إبراهيم " هذا البلد أمنا "

الرابع:
التقديم والتأخير: ومنه في الآية 48 من سورة البقرة " واتّقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل " ومن نفس السورة في الآية 123 " ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة '

الخامس:
ما يشتبه بالجمع والإفراد: ومنه في الآية 30 من سورة البقرة " لن تمسّنا النار إلاّ أيّاما معدودة " وفي الآية 24 من سورة آل عمران " لن تمسّنا النّار إلا أيّاما معدودات "

السّادس:
إبدال حرف بحرف آخر: ومنه في الآية 123 من سورة طه " أفلم يهد لهم " بالفاء ونجدها في الآية 26 من سورة السجدة بالواو " أولم يهد لهم "

السّابع:
ما يشتبه بإبدال كلمة بأخرى: ومنه في الآية 60 من سورة البقرة " فانفجرت " وفي الآية 160من سورة الأعراف " فانبجست " .

الثّامن :
ما يشتبه بالإدغام وتركه ومنه في الآية 47 من سورة الأنعام " لعلّهم يتضرّعون " وفي الآية 94 من سورة الأعراف " يضرّعون "[1].

---

1) البرهان في علوم القرآن . الزركشي ج 1 ص 112

I- البناء اللغوي للجملة القرآنية المتشابهة :

إنّ إعجاز القرآن الكريم لم يكن بفصاحته وبلاغته وعلوّ ألفاظه وشرف معانيه فقط وإنّما ظهر الإعجاز أيضا في ترتيبه ونظم آياته وتفننه في بداعة تنقلاته من فن إلى آخر بطرائق متعددة والإتيان بالمفردات عند التكرير تفاديا وتجنبا لثقل تكرير الكلم ماعدا المقامات التي تقتضي التكرير من تهويل وترهيب ونحوه وقد يقتضي المقام شيئين متساويين أو أشياء متساوية فيكون البليغ مخيّرا في أحدهما وله ذكرهما تفتنا[1]

وقد وقع في القرآن الكريم الكثير من هذا لكن مع الإبداع في اختيار ما يناسب المقام من ألفاظ .

والتفنّن في ترتيبها أضفى على المعاني المعادة نوع من التغيير والتجدّد في الأسلوب فلا تكون إعادتها مجرّد تكرار أو تذكير ، وإن كانت القصة نفسها وردت في موضعين فإنّنا نستشف مواطن التوافق والتخالف في الموضعين ولو كان ما يختلفان فيه هي الفاصلة فقط[2] .

و للإحاطة بهذا الجانب من الإعجاز القرآني – ولو بالقدر الضئيل – سأعتمد في تحقيق غرضي وبلوغ غايتي – بإذن الله – على القرآن الكريم نفسه حيث سأذكر الآيات المتشابهة في السور المختلفة أو في السورة الواحدة متعرضة لأسباب النزول – إن وجدت- لأنّها الوحيدة التي ستظهر الاختلافات الواردة سواء في المعنى أو المبنى – كما أنّي سأعتمد في بلوغ المراد على اللغة بفنونها وعلومها الكثيرة، بدءا بالجانب النحوي والصرفي و انتهاء بالجانب البياني من فنون الكلام وبلاغة التفنّن.

ولكي يكون هذا البحث على قدر من الدقة والتنظيم سأتبع الأضرب التي جاء بها الزركشي أثناء تقسيمه لأنواع الجمل المتشابهة – التي سبق ذكرها – وسيكون هنا طبعا أثناء الدراسة اللغوية مع نوع من التفصيل – فلن أكتفي بذكر مثال واحد في كل ضرب بل سأتعدّاه إلى أكثر من ذلك لأتمكن من حصر ودراسة أكبر عدد من الجمل المتشابهة دراسة لغوية ثم أختمها بعقد فصل أتناول فيه ما تشابه من الجانب البياني.

---

1) " التحرير و التنوير " الطاهر بن عاشور ج1 الدر التونسية للنشر ص 118

2) ا" التحرير و التنوير " ا ج1 ص 118

ومن خلال إطلاعي على معظم الجمل القرآنية المتشابهة وجدت أن اغلب أوجه الاختلاف بين جملتين لهما نفس المعنى هو ظاهرة التقديم والتاخير لذلك فضلت البدء بها والتطرق لهته الجمل من الجانب اللغوي.

1- التقديم و التأخير:

لقد اشتمل القرآن الكريم على عدد من الجمل المتشابهة في المعنى المختلفة في المبنى بالتقديم و التأخير.

ففي سورة الفاتحة التي هي مطلع الكتاب العزيز وأول سورة في ترتيب الثابت. ما يستوقفنا فيها هو ما افتتحت به أي قول عز وجل (الحمد لله) فقد كان البغاء لا يفتتحون خطبهم وكلامهم إلا بالثناء والحمد ومن لم يفعل ذلك لقب بالأبتر وقد لقبت خطبة زياد بن أبي سفيان التي خطبها بالبصرة بالبتراء . لأنه لم يفتحها بالحمد[1] .

والحمد هو الثناء على الجميل أي الوصف الاختياري فعلا كان أو قولا. والحمد والثناء هنا لله عزوجل على الصّفات التي انفرد بها سبحانه تعالى سواء الصفات الذاتية كالعلم والقدرة أو صفات الأفعال كالخلق والإرزاق والكرم وغيرها[2] ومشروعية حمده سبحانه وتعالى في ابتداء الأمور وختامها متقرر معلوم وقد تكرّرت هذه الجملة (الحمد لله رب العالمين) في الكتاب العزيز في خمس سور[3] هي الفاتحة في قوله تعالى(الحمد لله رب العالمين) والأنعام(الحمد لله الذي خلق السموات والأرض والكهف(الحمد لله الذي أنزل على عبد الكتاب) وسبأ (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) وفاطر (الحمد لله فاطر السموات والأرض) أما مجيء هذه الجملة في خواتم السّور فهو تذكر منها ما جاء في آخر سورة الصّافات قوله عزوجل (وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين).ما نلمحه أن كل ما جاء في السور فيما يخص جملة الحمد لله جرى على أسلوب واحد ومعنى واحد مع اختلاف طفيف في الفاصلة بينما يبدو الفرق جليا و واضحا إذا ما قارنّا الآية (الحمد لله) من سورة الفاتحة مع ما ورد في الآية 36 من سورة الجاثية قوله عز وجل(ولله الحمد) و لنبدأ أولا بمواطن التوافق بينهما.

إنّ التّوافق الحاصل في الموضعين هو حملها معنى واحد وهو حمد الله والثناء عليه ثناء جامعا لوصفه بجميع المحامد و تنزيه من جميع النقائص .

---

1) " التحرير و التنوير " ج1 ص 156

2) ملاك التاويل ج 1 ص 149

3) ا البرهان في علوم القرآن ج1 ص 164

وفيما يتعلق ببنائهما النّحوي فالتوافق يبدو جليّا فكل واحدة منهما هي جملة اسمية مشكّلة من كلمتين هما(الحمد) و (لله) . وقد وردت (الحمد) بالرّفع في كلا الموضعين ووردت (الله) بالجرّ مسبوقة بلام الاختصاص[1] . كما عرّفت كلمة (الحمد) بالألف واللام في الجملتين معا والتّعريف هنا يسمّى تعريف الجنس[*] ومعناه أن هذا الجنس معروف لدى الملقي والسامعين وهو يفيد توكيد اللفظ وتقريره وإيضاحه للسامع و(الحمد) في الموضعين مرفوع لأنّها مبتدأ و(لله) خبره ولام (لله) متعلّق بالكون والاستقرار العام كسائر المجرورات المخبر بها وهو هنا من المصادر التي أتت بدلا عن أفعالها في معنى الأخبار فأصله النصب على المفعولية المطلقة على أنّه بدل من فعله وتقدير الكلام نحمده حمدا لله . فلذلك التزموا حذف أفعالها معها[2] .

أمّا الاختلاف الحاصل في الموضعين فيتمثّل في ظاهرة التقديم والتأخير فيما بين المبتدأ أو الخبر الوارد في الجملتين (الحمد لله) و(ولله الحمد). والمعلوم أن مرتبة المبتدأ هي التقديم ليبني علية الخبر وتقديمه عند عدم العوارض اللفظية أولى كما ورد في الآية الأولى من سورة الفاتحة (الحمد لله) ولعلّ السّبب في ذلك كون سورة الفاتحة كانت أوّل سورة ومطلع آياته وهو المبيّن لكلّ شيء والمعرّف بوحدانيته سبحانه وتعالى وانفراده بالخلق

والاختراع ، ومالك الدارين[3] .فناسب ذلك افتتاحها بحمده جل جلاله والأمر بيّن . ولعل سبب التّقديم هنا أيضا كون اعتراف المؤمن و علمه بانفراد جلّ جلاله بالخلق والأمر وغيرها من الصّفات المذكورة وليس موضع توبيخ أو تقريع فناسب البدء بالحمد وتقديمه وهو المتفق عليه عند العّامة لأن كلمة (الحمد) مبتدأ ومكانه في الجملة دائما هي الأولى بل سمّي مبتدأ لابتداء الكلام به .

أمّا التّأخير الوارد في الآية 36 من سورة الجاثية (ولله الحمد) الحاصل بين المبتدأ أو الخبر ، فيمكن القول إن التقديم والتّأخير ليس منحصرا في جهة التّركيب اللفظي فقط بل قد يعرض من جهة المعنى أيضا ومن ذلك ، فإن

---

1) ملاك التأويل ج 1 ص 157

*) الجنس:هو جملة الشيء ومجموع أفراده وهو أهم من النوع وقد استعمل النحاة هذا التفسير في مجال الدلالة على العمومية في النوع الواحد معجم المصطلحات النحوية – محمد سمير نجيب اللبدي ص 55

2) " التحرير و التنوير " ج1 ص 156

3) ملاك التأويل ص 156 – 158

قوله عزوجل (ولله الحمد) ورد على التقدير الجواب، فبعد إرغام المكذّب وقهره ووقوع الأمور طبقا لأخبار الرسل – عليهم الصلاة والسلام – كأنّه قال : لمن الحمد الآن ومن أهله ؟ فجاء الجواب على ذلك السؤال (لله الحمد) ومن هذا نجده في قوله تعالى (لمن الملك) ثم كان الجواب (لله الواحد القهار) [1]

لكن هنا وردت كلمة (الملك) منطوقة فكان الجواب عليها بالاستغناء عنها فلم يقل " الملك لله الواحد القهّار " بينما في سورة الجاثية لم يتقدّم ذكر الحمد وإنّما هو مقدّر يدلّ عليه السيّاق والمقدّر المدلول كالمنطوق والإيجاز مستدع لذلك [2] لأنّ ما تقدّم قبل آية (فلله الحمد) في الجاثية هو قوله تعالى" وبدا لهم سيّئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنّكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرّتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون"(الجاثية 33-35)

والحديث هنا كان عن يوم التّلاقي والعرض عليه سبحانه وتعالى وكأنّه يقول لهم لمن الحمد الآن ؟ فورد الجواب بقوله تعالى " فلله الحمد " ولتوضيح الأمر للمكذّبين أتبع حمده بقوله تعالى " ربّ السّموات وربّ الأرض ربّ العالمين " (الجاثية: 36) ولمّا كان الوارد في أمّ القرآن خطابا للمؤمنين وتعليما للمستجيبين يتنافى مع ما جاء في الجاثية من توبيخ المكذّبين وتقريع الجاحدين جاء الحمد كل على حسب ما يجب ويتناسب[3].

فكان لا بد من تقديمه في الأولى و تأخيره في الثانية و منه كان مجيء كل واحد كنهما في موضعه ملائما لما اتصل به .

وبما أنّه في كلّ من الموضعين قد لحقت جملة (الحمد) مجموعة من الصفات التي تدّل على الثّناء والمدح والتعظيم والحمد ، قوله تعالى في سورة الفاتحة (الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين) وفي سورة الجاثية قوله تعالى (فلله الحمد ربّ السموات وربّ الأرض ربّ

---

1) ملاك التأويل ص 152

2) المصدر نفسه ص 157

3) التحرير والتنوير ص 156

العالمين) فلقد اتّفق السّبعة[1] على الإتباع[2] في هذه الصّفات العلية وإجرائها على ما قبلها .

نبقى دائما مع ضرب التقديم والتأخير في الجمل القرآنية المتشابهة، وهذه المرة ستكون المقارنة بين جملتين وردتا في كل من سورة البقرة وسورة المائدة.

الآية الأولى قوله تعالى " إن الذين أمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من أمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحات فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

(البقرة : 62) .

والآية الثانية في قوله عز وجل " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"(المائدة : 69)

وقبل أن نقوم بدراسة ظاهرة التقديم والتأخير بين هاتين الجملتين لا خير أن نستهل هذه الدراسة باستنباط مواطن التوافق أولا ثم ندرس مواطن الاختلاف.

- فأوّل توافق بين الجملتين هو سيرهما على أسلوب واحد، وحملهما معنى واحد وهو عبارة عن ترغيب من الله عزوجل – لخلقه- ، يبيّن لهم – كالعادة- رحمته بهم وإرادته لهم صلاح الحال ، وهو في هاتين الجملتين يبيّن لهم ويخبرهم أنّ باب الله مفتوح وأنّ اللجوء إليه أمرا هيّن ويسير ، شريطة أن يؤمنوا به ويعملوا الصالحات ويتوبوا إليه .

وتوافق آخر يتمثّل في ابتداء الجملتين معا بذكر المؤمنين أوّلا في قوله تعالى " إن الذين آمنوا " وهذا من باب الاهتمام بشأنهم ليكونوا في مقدمة ذكر الفاضلين فلا يذكر أهل الخير إلا ويذكرون في مقدّمتهم أو معهم[3]. كما وردت " إنّ " في كل من الجملتين للاهتمام بالخبر الآتي وتأكيده وانتظاره،

---

1) القراء السبعة هم : أبو عمرو البصري (ت154هـ) ، ابن عامر الشامي (ت118 هـ) ، ابن كثير المكي (ت120 هـ) ، حمزة الكوفي (ت159 هـ) ، عاصم الكوفي (ت127هـ) ، الكسائي الكوفي (ت189 هـ) ، نافع المدني (ت 169هـ) ← البرهان في علوم القرآن ج1 ص 327 - 329

2) الاتباع: هو توالي الكلمات بنفس الحركة ، كتوالي الجر في قوله " الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين "

3) ابن عاشور الطاهر : التحرير و التنوير 1/ 532

وهذا من باب التوافق، بالإضافة إلى ذلك فإنّ ابتداءهما بالحرف " إنّ " يعني أن بناءهما النّحوي هو بناء اسمي ويدلّ على الدّوام والثبات .
وثالث توافق بين الجملتين يتمثّل في عدد الأجناس المذكورة في كل من الجملتين وأولى هذه الأجناس ذكر " الذين آمنوا " وهم الذين صدّقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وثانيها ذكر " الذين هادوا " والمقصود بهم بنوا إسرائيل ومعنى هادوا أي دانوا بدين اليهود .
والجنس الثالث هم النصارى وهو اسم جمع نصرى أو ناصرى نسبة إلى النّاصرة وهي قرية نشأت منها مريم أمّ المسيح عليه السلام[1] .
أمّا رابع جنس فهم الصابئون واسم الصابئة مأخوذ من أصل عبريّ هو (ص – ب- ء) أي غطس عرفت به طائفة " المندايا " وهي طائفة يهودية نصرانية في العراق كانوا يعبدون الكواكب والقمر وبعض النجوم مثل نجم القطب الشمالي .
أمّا الاختلافات الحاصلة بين الجملتين فأبرزها هو التقديم والتأخير بين الكلمتين " النصارى" و" الصابئين " وقوله عزوجل في سورة البقرة" إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصّابئين" وقوله عزوجل في سورة المائدة " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى " فلقد وردت كلمة " النصارى" متقدمة في سورة البقرة وبعدها الصابئين في حين جاءت الكلمة نفسها مؤخرة في سورة المائدة وتتقدّمها كلمة " الصابئون " مرفوعة الواو فمن الناحية الإعرابية وردت كل من كلمة "النصارى "و الصابئين"في الجملة الواردة في سورة البقرة معطوفا على اسم إنّ السّابق كما هو في الظاهر ، بينما وردت كلمة " الصابئون " بحالة الرّفع في سورة البقرة ولعلّ ذلك راجع إلى اعتبار"الصابئون"مبتدأ الجملة مع تقدير خبر له أي" والصابئون كذلك " ويكون قوله " من آمن بالله " مبتدأ ثان وتكون (من) موصولة والرّابط للجملة بالتي قبلها محذوفا أي (من آمن منهم) وجملة (فله أجرهم) خبر عن " من" الموصولة[2] .
أمّا السبب في تقديم كلمة " النصارى " متبوعة بكلمة (الصابئين) في سورة البقرة والعكس في سورة المائدة ، فيرجع إلى أنّ النصارى أقرب إلى الصابئين من حيث التمثليث وسوء نظرهم في ذلك وتصوّرهم ، إذ أنّهم

---

1) التحرير والتنوير 1/ 534

2) المصدر نفسه 6 / 269

غيّروا أديانهم بالإشراك وإنكار البعث بعد أن كانوا على دين له كتاب . لكن الصابئين كانوا أبعد عن النصارى عندما التزموا عبارة الكواكب لذلك قدّم النّصارى في سورة البقرة عن الصابئين.

ولعلّنا نسأل لم لا يكون ذلك اليهود على الرغم من أنّهم شرّ الطائفتين ؟

فيكون الجواب أن اليهود هم أقدم تعريفا وأسبق زمانا وأكثر ذكرا، فلمّا اجتمعت الطوائف الثلاثة في موضع واحد كان لا بدّ من تقديم اليهود والبدء بهم[1].

ولعلّ تقديم " الصابئين " وتأخير " النصارى" في سورة المائدة يعود إلى يأس الصابئين من هذا الحكم عند سماعهم له واعتقادهم بابتعادهم عن مغفرة الله بسبب تأخر مرتبتهم فأراد الله أن يبيّن لهم في سورة المائدة إن عفوه عظيم لا يضيق عن شمولهم وأنّهم أمام عدل الله يساوون غيرهم وهذا موجب التقدم على الرفع[2].

ثم عقب ذلك كلّه بقوله " وعمل صالحا " فهو قيد في المذكورين كلّهم سواء من المسلمين أو اليهود أو النصارى أو الصابئين وأوّل الأعمال الصالحة هوة الإيمان بالله وتصديق الرّسول صلى الله عليه وسلم وامتثال الأوامر واجتناب النّواهي .

---

1) ملاك التأويل 1 / 219

2) التحرير والتنوير 6 / 271

2- إبدال حرف بحرف:

وقد وقع منه في القرآن الكريم كثير ، لكن سنكتفي بدراسة مثالين فقط .

المثال الأول: قوله عزوجل " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزجل الجنّة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين " (البقرة : 35) ، والآية نفسها وردت في موضع آخر ، قوله عزوجل " ويا آدم أسكن أنت وزوجك فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"(الأعراف: 19)

الجملتان كما هو ظاهر متماثلتان في اللفظ والمعنى، ويكفي انّهما تحملان نفس الحادثة وهي مناداة الله تعالى لآدم عليه السلام وأمره أن يبقى في الجنة ، وهو أمر تقرير لأن آدم كان مستقرا بها من قبل ، وبما أنّ هذه المخاطبة كانت في حضرة واحدة فيها آدم والملائكة وإبليس فأراد الله عزوجل بهذا الخطاب قمع إبليس والتنكيل به ، وما يؤكد ذلك أنّ الجملتين معا سبقتا بواو العطف قبل ذكر اسم آدم فكأنّ الله عزوجل وجّه لآدم كلاما غير الذي سبق – أي قال لإبليس أخرج منها ثم قال " ويا آدم أسكن أنت " وهذه تكرمة أكرم الله بها آدم في ذلك الملأ وهذا من عطف المتكلم بعض كلامه على بعض مع اتحاد مقام الكلام .

أمّا عن الألفاظ التي تضمنتها الجملتان فهي نفسها مع الحفاظ على ترتيب واحد في كل جملة منها [1] بداية مع نداء آدم عليه السلام وهو نداء تنويه استدعى ذكر الاسم لإسماع أهلب الملأ الأعلى فيتطلعون لما سيخاطبون به ، مرورا بالأمر قوله تعالى " اسكن أنت وزوجك " وهو أمر لإمتنان بالتنكين لسكنى الجنة والضمير " أنت " واقع لأجل عطف وزوجك على الضمير المستتر في " اسكن " فتحصل بذكره فائدة تقرير مدلول المعطوف لكي لا يكون تابعه وهو المعطوف عليه أبرز منه في الكلام .

والزّوج هو كل شيء ثان مع شيء آخر بينهما تقارن والتقاء والمقصود بها هنا امرأته حوّاء

أمّا لفظ الجنة فهي المكان التي وعد الله عباده المؤمنين والمصدقين برسله أي دار جزاء المحسنين ، أمّا عن الأكل فيعني الأكل من ثمار هذه الجنة [2] .

---

1) التحرير و التنوير 1/ 428

2) المصدر نفسه 1/ 428

والحاصل من هذا كله أن التوافق بين الجملتين لم يكن في حملهما نفس الألفاظ ونفس المعاني بل حتى في طريقة عرض الأساليب ، فقد ابتدأت كل جملة بنداء يتبعه تأكيد ثم أمر يتبعه نهي بقوله تعالى " ولا تقربا هذه الشجرة " لكن مع كل هذه الاتفاقات في الألفاظ والمعاني والأساليب يبقى هناك اختلاف بارز بين هاتين الجملتين ويتمثل في إبدال حرف بحرف غيره فلقد وردت أولى الجملتين في سورة البقرة بحرف الواو ، قوله عزوجل " اسكن أنت وزوجك الجنّة فكلا "

وقد اختلف في تفسير هذه القضية فحسب الزركشي أن الحكمة مع مجيء كلمة (كلا) مسبوقة بالواو هي أن " اسكن" من السكون الذي هو الإقامة فلم يصلح إلا بالواو، ولو جاءت بالفاء لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة ، أمّا عن مجيء (كلا) قبلها الفاء في الأعراف لأن كلمة " اسكن " فيها من المسكن وهو اتخاذ الموضع سكنا ، فكانت الفاء أولى لأنّ اتخاذ المسكن لا يستدعي زمنا متجددا[1] .

ويرى ابن الزبير الغرناطي أنّ الأمر بالأكل في سورة البقرة بواو النسق في قوله تعالى " وكلا" القصد منه مجرّد إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بما جرى من أحداث في قصة آدم وابتداء خلقه وأمر الملائكة بالسجود له ، ثم ما أمر آدم من سكنى الجنة والأكل منها دونما ترتيب زماني أو تحديد هدف معيّن ، فناسب ذلك واو النسق المقتضية عدم الترتيب ، في حين مجيء الأمر بالأكل في الأعراف بالفاء لأنّ المقصود في هذا الموضع هو تعداد نعم الله على آدم وذريته ثمّ ما تبعه من ذكر الخلق والتصوير وأمر الملائكة بالسجود ثم أمر آدم بالسّكن ، فناسب هذا العطف بالفاء التي تقتضي الترتيب[2] . فلما اختلف القصدان اختلف التعبير عنهما وتغيّرت الحروف كلّ حسب ما يناسبه حتّى وإن كانت القصّة واحدة وهذا من بدائع إعجاز القرآن الكريم .

المثال الثاني: نبقى مع نفس الظاهرة وهي إبدال حرف بحرف أخر ن ونفس الكلمة وهي كلمة " الأكل " بل نبقى مع نفس الحرفين الواو والفاء.

وتوجد الجملة الأولى في الآية 58 من سورة البقرة قوله عز وجل " وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطّة يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين " أمّا الجملة الثانية فقد وردت في

---

1) الزركشي . البرهان في علوم القرآن .ج 1 دار الكتب العلمية بيروت . ط1/1988/ص 164

2) ملاك التأويل 187/1

الآية 161 من سورة الأعراف قوله عزوجل " وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجّدا تغفر لكم خطيئتكم سنزيد المحسنين "

فأوّل اتفاق بين الجملتين هو أنّ لهما نفس المناسبة ، فمضمون الآيتين يشير إلى قصة بني إسرائيل لمّا نزلوا بمدينة قادش وأصبحوا على حدود أرض كنعان وهي الأرض المقدّسة التي وعدهم الله بها بعد خروجهم من مصر فأرسل موسى عليه السلام اثنتي عشرة رجلا ليتحسّسوا أرض كنعان من كل سبط رجل وكان فيهم يوشع بن نون وكالب بن بفنة فوجدوا الأرض ذات خيرات وقطعوا من رمّانها وعنبها ورجعوا لقومهم بعد أربعين يوما وأخبروا موسى وهارون بما رأوه ، ولمّا أمر موسى بامتلاكها أنصب له كالبا ويوشع فقط أمّا العشرة الآخرون فأشاعوا في بني إسرائيل أن سكان القرية جبابرة فخافت بنوا إسرائيل من سكان الأرض وامتنعوا عن القتال فاستشفع لهم موسى فعفا الله عنهم لكنّه حرمهم من الدخول إلى الأرض المقدسة أربعين سنة يتيهون فلا يدخل لها أحد إلا يوشع وكالبا أما الجواسيس العشرة فأرسل الله عليهم وباءا أهلكهم[1] .

فتوحدّ مضمون الجملتين استدعى تقاربا في استعمال الألفاظ والعبارات مع فروق في بعض الكلمات ، ففي سورة البقرة بدأت الآية بقوله تعالى " ادخلوا " بينما في سورة الأعراف بدأت الآية بقوله تعالى " اسكنوا " ففرّق ذلك على القصّتين على عادة القرآن الكريم في تغيير أسلوب القصص استجدادا لنشاط السّامع وتفاديا للتكرار المذموم .

وهناك فرق واضح بين الجملتين يتمثّل في مجيء هذه الجملة في سورة البقرة بحرف الفاء قوله عزوجل " وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا " في حين وردت هذه الجملة في سورة الأعراف بحرف الواو قوله عزوجل " وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم "

ولعلّ السبب في إبدال حرف الفاء بحرف الواو بين السورتين راجع إلى أنّ جملة البقرة سيقت مساق التوبيخ فناسبها ما هو أدلّ على ذلك ، بدليل أنّ فعل " قيل" أسند في سورة البقرة على ضمير الجلالة " وإذ قلنا " لظهور أنّ هذا القول لا يصدر إلا من الله تعالى فكانت الجملة الواردة في سورة البقرة أولى

---

1) التحرير والتنوير 513/1

أن تكون بفاء التعقيب من واو العطف التي تفيد الجمع ، في حين يرجع السبب إلى ورود الجملة نفسها بالواو في سورة الأعراف لأنّ آيات الأعراف سيقت لمجرّد العبرة بقصّة بني إسرائيل [1]. وفي قوله تعالى" فكلوا " بحرف التعقيب وجهه أن " الأكل " لا يكون إلا بعد الدخول ولا يكون قبله بوجه ولا معه لتعذر ذلك وإنّما يمون مُرَتّبًا عليه. فجيء بالحرف المحرز لذلك المعنى وإنّه على التعقيب من غير مهلة. وأمّا الوارد في سورة الأعراف فإنّ السّكن مُجَرٌّ معه الأكل ومساوق له ولا يمكن أن يكون مرتبا عليه فجاء بالحرف الصّالح لذلك المعنى[2] .

---

1) التحرير والتنوير 8 / 145

2) ملاك الاتاويل 1/ 204

3- أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه:

وهو يشبه ردّ العجز إلى الصدر وهو قريب من ضرب التقديم والتأخير وقد وقع منه في القرآن منه كثير [1] .

ومن أمثلة قوله تعالى " واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل "(البقرة : 38) وقوله تعالى في نفس السورة " واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون "(البقرة : 123).

فالملاحظ أنّ المعنى المحمول في الموضعين هو نفسه ، وهذا من باب التوافق بل نجد أنّ الموضعين معا قد ورد في سورة واحدة ، لكن جاءت الجملة في الموضع الأوّل على نظم ، إذ ابتدأت بنفي قبول الشفاعة ثم نفي أخذ العدل بينما تقدّم قبول العدل على الشفاعة في جملة الموضع الثاني .

والسّبب في ذلك هو أنّ القرآن الكريم حتى وإن اشتمل على التنقل من أسلوب إلى آخر فقد اشتمل أيضا على الفائدة والحكمة في ذلك التنقل فهو القائل " كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير"(هود :2) ولم يقل من " رحمن رحيم " للتّأكيد على أنّه لا بد من توخي الحكمة أثناء التنقل ولا يكتفي بالتوسع في الكلام فقط. فهاتان الآيتان كلاهما في حق بني إسرائيل الذين كانوا يقولون أنّهم أبناء الأنبياء وأحفادهم ، وأنّهم سيشفعون لهم آبائهم فبيّن لهم الله في هاتين الآيتين أنّه لا تنفعهم الشّفاعة ولا تجزي نفس عن نفس شيئا [2].

وفي الموضعين بيان أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع فيها . وقد بذل العدل للحاجة إلى الشفاعة عند من طلب ذلك منه . ولهذا قال في الموضع الأوّل " ولا يقبل منها شفاعة " وفي الموضع الثاني " ولا تنفعها شفاعة " لأنّ الشّفاعة إنّما تقبل من الشّافع ، وتنفع المشفوع له . وقد تكرّر " لا" في الموضعين على سبيل الإنذار بالواعظ إذا وعظ لأمر فإنّه يكرّر اللفظ لأجله تعظيما للأمر .

---

1) البرهان في العلوم 1 / 118

2) المصدر نفسه 1 / 124

وأمّا تغيير النظم في الموضعين فلما كان قبول العدل وأخذه وقبول الشفاعة ونفعها متلازمة لم يكن فرق في المعنى بين اتفاق هذه العبارات واختلافها .
والظّاهر أنّه سبحانه وتعالى نفى قبول الشفاعة لا نفعها ، ونفى أصل العدل الذي هو الفداء. وبدأ بالشّفاعة لتيسيرها على الطالب أكثر من تحصيل العدل الذي هو الفداء على ما هو معروف في دار الدنيا. وفي الآية الثانية أنّه لمّا تقرّر زيادة تأكيدها بدأ فيها بالأعظم الذي هو الخلاص بالعدل وثنى بنفع الشفاعة فقال " ولا تنفعها شفاعة " ولم يقل لا تقبل منها شفاعة وإن كان نفي الشفاعة يستلزم نفي قبولها . فعاد الأمر إلى تكرار الجمل ليفيد في قوّة الدّلالة وتأكيد المعنى واستقراره [1].
نبقى دائما مع هذا الضرب ومع مثال آخر بين جملتين. الأولى قوله عزوجل " يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله " (النساء : 135) والثانية قوله عزوجل " يا أيّها الذين أمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط " (المائدة : 08)
التّوافقات بين هاتين الجملتين كثيرة ومتعدّدة. فمن ناحية المضمون فهو عبارة عن دعوة للعدل في الحكم وأداء الشهادة بالحق هو قوام صلاح المجتمع الإسلامي والانحراف عن ذلك يجرّ إلى فساده .
أمّا من ناحية الأسلوب فكان الاستفتاح في الجملتين معا بالنّداء في قوله تعالى " يا أيّها الذين آمنوا " ثم تبعه أمر بوجوب القيام بالعدل . وأمّا الألفاظ والعبارات فهي نفسها في كلا الموضعين . فصيغة " قوّامين " دالة على الكثرة وهو عدم الإخلال بهذا القيام في كل الأحوال . و" القسط " هو العدل وهي كلمة معرّبة أدخلت في كلام العرب لدلالتها في اللّغة المنقولة على العدل في الحكم ، أمّا لفظ العدل فأعمّ من ذلك ويدلّ تعقيبه بقوله " شهداء لله " فإنّ الشهادة من علائق القضاء والحكم ، و " لله " أي لأجل الله . ومنه فقد حصل من مجموع الجملتين وجوب القيام بالعدل ، والشهادة به، ووجوب القيام لله ، والشهادة له، وعلى الرغم من هذه التوافقات الواردة بين الجملتين إلا أنّ ثمّة اختلاف حاصل بينهما فقد تغيّر النظم في الموضعين إذ جاء في الموضع الثاني على عكس ما جاء في الأول . فجملة النساء قال فيها عزوجل " قوّامين بالقسط شهداء لله " في حين قال في جملة المائدة " قوّامين لله شهداء بالقسط " .

---

1) البرهان في علوم القرآن 1 / 126

والسّبب في ذلك أن الجملة التي وردت في سورة النساء جاءت عقب آيات القضاء في الحقوق المبتدئة بقوله " إنّا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله " ثم أردفت بأحكام المعاملة بين الرجال والنساء . فكان الأعم فيها أمر العدل فالشهادة فلذلك قدّم فيها هو العدل في القضاء ولذلك عدّيّ إليه بالباء، إذ قال " قوّامين بالقسط " وأمّا الجملة التي وردت في المائدة فقد جاءت بعد التذكير بميثاق الله فكان المقام الأوّل للحضّ على القيام لله ، أي الوفاء له بعهودهم له ولذلك عدّي قوله " قوّامين " باللام . وإذ كان العهد شهادة أتبع قوله " قوّامين لله " بقوله " شهداء بالقسط " أي شهداء بالعدل شهادة لا حيف فيها ، وأولى شهادة بذلك شهادتهم لله تعالى[1].

---

1) التحرير والتنوير 6 / 135

4-ما يشتبه بالزيادة والنقصان:

وقد ورد منه في القرآن الكريم كثير ، لكن لمّا كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوّله بعد الفاتحة ، فسنتطرق لدراسة جملتين متشابهتين من سورة البقرة وحدها .

قال الله عزوجل " فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدّة من أيّام أخر" (البقرة: 184) ثم قال " ومن كان مريضا أو على سفر فعدّة من أيّام أخر " (البقرة : 185)

إنّ ما يهمّنا مكن الآيتين قوله تعالى في الأولى " فمن كان منكم مريضا " وفي الثانية قوله " ومن كان مريضا " .

إن أبرز توافق بين الجملتين أنّهما تحملان نفس الموضوع . فمضمونهما يشير إلى موضوع الصوم وهو من العبادات التي تهدف إلى ترويض النفس وتزكيتها ، وهو ترك جميع الأكل وجميع الشرب وقربان النساء مدّة مقدّرة بالشرع بنية الامتثال لأمر الله لقوله تعالى " يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتّقون " (البقرة : 183).

وليُطمئن الله نفوس السامعين من عباده لئلا يظنوا أنّ الصّيام واجب عليهم في كل الأحوال فقد قدّم قوله تعالى " فمن كان مريضا أو على سفر فعدّة من أيّام أخر " فهنا الفاء لتعقيب الأخبار أي تعقيب لحكم العزيمة بحكم الرّخصة .

وبما أنّ الجملتين مضمونهما واحد فقد استوجب هذا استعمال نفس الألفاظ والعبارات . ولما كانت أنظارنا فقط على قوله تعالى "فمن كان منكم مريضا " وجب علينا أن نعرف المقصود من كلمة " مريضا " لأنّ الله أطلق المرض ولم يقيّده ، لهذا نجد أن ثمة اختلاف بين العلماء في تحديد المرض الذي يوجب الفطر في رمضان وقالوا أنه الذي لا يستطيع حامله الصوم بحال بحيث يخشى الهلاك .

أمّا معنى المرض فهو انحراف المزاج عن حدّ الاعتدال الطبيعي بحيث تثور في الجسد حمّى أو وجع أو فشل [1] .

وعلى الرغم من هذه التوافقات في المضمون والألفاظ والمعاني ، نلاحظ أن ثمة اختلاف حاصل بين الجملتين يستنبط من خلال القراءة الأولى لهما . وهو مجيء الجملة الأولى في قوله تعالى " فمن كان منكم مريضا " بزيادة تتمثل

---

1) التحرير و التنوير 2 / 162

في الضمير " منكم" بينما ينعدم هذا الضمير في الجملة الثانية لقوله تعالى " ومن كان مريضا " والسّبب في زيادة هذا الضمير في الجملة الأولى هو عودته إلى قوله تعالى " يا أيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام " فلمّا كان وجوب التّعجيل بالإعلام بالرّخصة في الفطر رفقا بالسامعين ، والتّعقيب لحكم العزيمة بالصّوم في جميع الأحوال ، وجب استعمال الضمير (منكم) للتّأكيد أنّ ما جاء من تفصيل وشرح ينضمّ تحت موضوع واحد[1] وأنّ خطاب الله عز وجل للمؤمنين وإعلامهم بفريضة الصوم لازال متواصلا ودون انقطاع أو تغيير الموضوع . بل قام بتعيين جماعة من هؤلاء الذين آمنوا وأخبرهم بعفوه ولطفه عليهم إذ كانوا في حالة مرض أو سفر .

والسّبب في مجيء الجملة الثانية بدون الضمير منكم فهذا راجع إلى تفادي التّكرار خصوصا وأنّ الآيتين نزلتا في وقت واحد . فكان الجدير في إعادة هذا الحكم هو قوله تعالى " ومن كان مريضا " بدون الضمير منكم خصوصا بعدما تمّ تعيين أيّام الصّوم ومن جهة أخرى فإنّ السّبب في عدم مجيء الجملة الثانية بالضمير مثل الأولى هو تقدّم جملة أخرى عن قوله " ومن كان مريضا " وهي قوله تعالى" ومن شهد منكم الشهر فليصمه " وهنا الضمير "منكم" يعود أيضا على قوله " يا أيّها الذين آمنوا " مثل الضمير الذي قبله أي ذكر في هذه الجملة ثم استغني عنه في قوله " ومن كان مريضا " وعطفت على قوله " ومن شهد منكم الشهر " والمعطوف بعض من المعطوف عليه .

نبقى مع ضرب ما يشتبه بالزيادة والنقصان بين جملتين . الأولى في سورة البقرة والثانية في سورة آل عمران .

قال عزوجل"إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلّمهم الله يوم القيّامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم"(البقرة: 174)

وقوله تعالى " إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم " (آل عمران : 77) لكن ما يهمّنا في هاتين الآيتين هو قوله تعالى " ولا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم " وقوله في الموضع الثاني " ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم

---

1) التحرير والتنوير 2 / 174

عذاب أليم " وأبرز اتّفاق بين الجملتين حملهما مضمون واحد وهو ذكر أوصاف اليهود والنّصارى الذين كانوا يكتمون البشارة بمحمد عليه الصلاة والسلام ويكتمون بعض الأحكام التي بدّلوها ، لأنّ المقصود من قوله تعالى " ويشترون به ثمنا قليلا" في سورة البقرة . أو قوله في سورة آل عمران " يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا " هو المال الذي كان اليهود يأخذونه من النّاس جزاء إفتائهم بما يلائم هواهم مخالفا لشرعهم[1] .

ولمّا كان الحديث عن اليهود والنّصارى في الجملتين معا . كان لا بدّ من استعمال نفس الأوصاف في قوله تعالى " يكتمون ما أنزل الله – يشترون به ثمنا – يشترون بعهد الله قليلا" واستعمال نفس الوعيد في قوله " لا يكلّمهم – لا يزكّيهم – لا ينظر إليهم – لهم عذاب أليم"

وممّا سبق من توافق في المضمون من ذكر أوصاف اليهود وما ينتظرهم من حساب أدّى هذا إلى بروز تشابه واضح بين الجملتين في انتهائهما بنفس الفاصلة [2] . وهي " عذاب أليم " . توافق آخر بين الجملتين يتمثّل في مجيئهما بنفس الترتيب ونفس الأدوات بداية بأداة التوكيد " إنّ " ثمّ ذكر أعمالهم السيّئة مرورا إلى ما ينتظرهم من جزاء وعقاب يوم القيامة وهذا كلّه يندرج تحت لواء الأسلوب الإخباري .

ومع هذه التوافقات هناك اختلاف حاصل بين الجملتين . فقد وردت الجملة التي في آل عمران بزيادة تتمثّل في كلمة " ولا ينظر إليهم " قوله تعالى " ولا يكلّمهم الله ولا ينظر يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم " بينما وردت الجملة في سورة البقرة بدونها قوله تعالى

" ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهمن عذاب أليم "

ومعنى " لا يكلّمهم الله " نفي للكلام وهو الكناية عن الغضب والمراد هنا نفي كلام التكريم ومعنى " لا ينظر إليهم " فالمعروف أنّ النظر يكون في العناية والإقبال ونفيه يكون في السّخط والغضب . فالنّظر المنفي هنا نظر خاص . وهاتان كنايتان يجوز معهما إرادة المعنى الحقيقي . وقوله تعالى "ولا يزكّيهم " أي لا يثني عليهم في ذلك المجمع ولا ينميهم أي لا يكثر حظوظهم في الخيرات ، ولا يطهّرهم من الذّنوب . ولا يقلعون عن آثامهم[3] . أمّا عن

---

1) التحرير والتنوير 2 / 123

2) الفاصلة هي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر و قرينة السجع : البرهان في علوم القرآن 1 / 53

3) التحرير والتنوير 2 / 290

السبب في مجيء الجملة الثانية في سورة آل عمران بزيادة كلمة " ولا ينظر إليهم " ونقصانها في الجملة الأولى من سورة البقرة هو الابتعاد عن الملل في قراءتها وتكرارها مرّة أخرى فكان لا بدّ من تجديد المعاني بأسلوب وعبارات تتمايز عن الآخر وحتى لا يكون التكرار مجرّد تكرار خال من كل فائدة وإنّما تكرّرت الجملة بالزيادة للتنبيه على أنّ المشار إليه جدير بأحكام أخرى غير الحكم السّابق وأنّ تلك الأحكام – لأهمّيتها- ينبغي ألاّ تجعل معطوفة تابعة للحكم الأول بل تنفرد بالحكم والموضع . فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام . وتبرز معان أخر بالزيادة في باقي المقامان حسب اختلاف مقتضيات الأحوال[1] .

---

1) مناع القطان / مباحث في علوم القرآن- مؤسسة الرسالة / ط 24 (د . ت) ص 307

5- **بالتّعريف والتّنكير:**

وهو أن يكون الكلام في موضع معرّفا وفي آخر نكرة[1] . كقوله تعالى في الآية 126 من آل عمران " وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئنّ قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم " وقوله عزوجل في الآية 10 من سورة الأنفال " وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم "

أوّل توافق بين الآيتين هو أنّ مناسبتهما واحدة ، وهي عبارة عن خطاب من الله عزوجل للنبي عليه الصلاة والسلام والمسلمين يوم غزوة بدر فقد وعدهم الله بالنصر فيها وأيقنوا به.

فكان لا بدّ من تبيين سببه أو كيفية نصرهم لتطمئن قلوبهم ، فكان ذلك بإمدادهم بالملائكة طمأنة لنفوسهم . لأنّ النفوس لا تهدأ إلا إذا ركنت إلى الصور الملموسة والمألوفة .

وهذا التوافق في المناسبة والقصّة أدّى إلى استعمال نفس الألفاظ والعبارات ونفس المعاني ونفس الترتيب في النظم .

فالبشرى اسم لمصدر بشرى كالرجعى ، والبشرى خبر حصول ما فيه نفع ومسرّة للمُخبَر به، والطّمأنة هي السّكون والهدوء وعدم الاضطراب .

وجملة " وما النصر إلا من عند الله" تذييل أي كل نصر هو من الله لا من الملائكة . وإجراء وصفي العزيز الحكيم هنا لأنهما أولى بالذّكر في هذا المقام . لأنّ العزيز ينصر من يريد نصره ، والحكيم يعلم من يستحقّ نصره [2] .

أمّا الاختلافات الواردة في الموضعين فهي ثلاث اختلافات :

أوّلهما : قوله عزوجل في آل عمران " إلا بشرى لكم " وحذف " لكم " في سورة الأنفال تفاديا لتكرار اللفظة . فقد علم السّامع أنّ البشرى لهم فأغنت " لكم " الأولى بلفظها عن ذكر " لكم " الثانية . لأنّ جملة آل عمران سيقت مساق الامتنان والتذكير بنعمة النّصر . أمّا آية الأنفال فهي مسوقة مساق العتاب على كراهية الخروج إلى غزوة بدر في أوّل الأمر .

الاختلاف الثاني : تقديم المجرور في الأنفال حين قال عز وجل " به قلوبكم " وهو يفيد الاختصاص فيكون المعنى ولتطمئنّ به قلوبكم لا بغيره[3] .

---

1) التحرير و التنوير 2 / 162

2) التحرير و التنوير 2 / 162

3) التحرير و التنوير 9 / 277

أمّا عن الاختلاف الثالث : فهو ما يهمّنا في هذا الموضع ويتفق مع الضرب الذي نحن بصدد دراسته وهو حاصل في جملة " الله العزيز الحكيم " فقد وردت هذه الجملة في آل عمران بالتّعريف وقوله عزوجل " وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم " بينما جاءت بدون تعريف في الأنفال قوله عزوجل " وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم " والسّبب هو أن الله عزوجل صاغ الصفتين " العزيز الحكيم " في آل عمران في صيغة النعت ، والنعت يتبع المنعوت في كل صفاته حتى التّعريف والتّنكير . بينما صاغ الصفتين " عزيز حكيم " في الأنفال في صيغة الخبر المؤكد إذ قال " إن الله عزيز حكيم " فنزّل المخاطبين منزلة من يتردّد في انّه تعالى موصوف بهاتين الصفتين وهما " العزّة والحكمة "

وجملة " إن الله عزيز حكيم " مستأنفة استئنافا ابتدائيا جعلت كالإخبار بما ليس بمعلوم لهم .

أمّا ثاني مثال في ضرب التعريف والتنكير نجده بين جملتين . الأولى في الآية 36 من سورة فصّلت في قوله تعالى " وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنّه هو السميع العليم والجملة الثانية في قوله تعالى " وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم " (الأعراف : 200)

التوافقات بين الآيتان عديدة ومن جميع النواحي :

فمن الناحية الإعرابية : فلهما نفس الإعراب ولم يتغيّر على الرغم من التغيّر الذي حدث في الكلمتين " سميع عليم " . فالواو حرف عطف ، إن حرف شرط جازم ، ما: زائدة ، ينزغنك: مضارع مفتوح في محلّ جزم فعل الشرط والنون للتوكيد والكاف مفعول به ، من الشيطان: جار ومجرور، نزغ : فاعل مرفوع ، الفاء : رابطة لجواب الشرط ، استعذ بالله : فعل أمر ساكن والجار والمجرور متعلقان باستعذ ، إن للتّوكيد والنّصب ، والهاء : اسمها سميع : خبر مرفوع ، عليم : خبر ثان مرفوع [1].

والمضمون واحد بينهما وهو عبارة عن أمر ، وهذا الأمر مراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنّه شامل لأمّته ، والمعنى إن ألقى إليك الشيطان ما يخالف الذين أو سوّل لك ترك الأمر بالمعروف ، فاستعذ بالله منه ليدفع عنك حرجه ويشرح صدرك لمحبّة العمل بما أمرت به وهذا كناية عن دفاع الله عن رسوله . وأنّ أمره بالاستعاذة وقوفا عن الأدب والشكر وإظهار الحاجة إلى الله عزوجل ، أمّا عن الألفاظ التي وردت فيهما فلم تتغيّر معانيها :

---

1) محمد طيب ابراهيم إعراب القرآن الكريم دار النفائس للطباعة . ط /1 . (د. ت) . ص 176

فكلمة ينزغ مأخوذة من النزغ وهو النخس والغرز وإطلاق النزغ هنا على وسوسة الشيطان ، استعارة شبّه فيها وسوسة في النّفس بنزغ الإبرة بجامع التأثير الخفي ، والاستعاذة مصدر طلب العوذ . فالسّين والتّاء فيها للطالب والالتجاء إلى شيء يدفع مكروها عن الملتجئ .

والسميع العالم بالمسموعات أي عليم بدعائك مستجيب وقابل للدعوة ووصف العليم زيادة في الإخبار بعموم علمه تعالى بالأحوال كلّها . لأنّ وصف سميع دلّ على أنّه يعلم استعاذة الرسول صلى الله عليه وسلم [1].

أمّا ما اختلفت فيه الآيتان فهو في الجملة التي قال فيها عزوجل " فاستعذ بالله إنّه هو السميع العليم " (فصّلت : 36) والاختلاف كما هو ملاحظ في الكلمتين " سميع عليم " فقد وردت هاتان الكلمتان في جملة فصلت بالتّعريف. في حين جاءتا في الثانية بالتّنكير . ولعلّ السّبب في مجيء الجملة الأولى بالتّعريف قوله عزوجل " فاستعذ بالله إنّه هو السّميع العليم " لأنّها جاءت مؤكّدة بالتكرار أ لأنّها سبقت بقوله تعالى"وما يلقاها إلا الذين صبروا " (فصلت:35)

فبالغ في التّعريف ، وهذا بخلاف ما جاء في جملة الأعراف التي قال فيها " فاستعذ باله إنّه سميع عليم " لأنّها جاءت على الأصل المتعارف عليه : المخبر عنه معرفه والخبر نكرة ، لأنّ ما سبقها من كلام كان معرفة بقوله عزوجل " خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين " (الأعراف : 199) وما لحقه كان نكرة[2] .

---

1) التحرير و التنوير 9/ 230-231

2) البرهان في علوم القرآن 1/ 128

6- **ما يشتبه بالجمع و الإفراد:**

وقد أشار إليه الزركشي[1] ومن أمثلته قوله تعالى " لن تمسّنا النّار إلا أيّاما معدودة " (البقرة : 80) وقد وردت هذه الآية في موضع آخر حيث يقول عزوجل " ذلك بأنّهم قالوا لن تمسّنا النّار إلا أيّاما معدودات " (آل عمران : 24) .

ما نلحظه على هاتين الجملتين أن المحمول فيها هو نفسه . بل نجده أعيد ذكره في آية آل عمران مع تغيير طفيف في الكلمة الأخيرة من الجملتين ، لكن قبل ذكر التّغيرات الواقعة والاختلافات الواردة . نقف أولا عند التوافقات بين الجملتين :

مناسبة الآيتين واحدة وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل مِدْرَاسَ اليهود فدعاهم إلى الإسلام فقال له (نعيم بن عمرو (و (الحارث بن زيد) : على أيّ دين أنت ؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : على أمّة إبراهيم . فقالا له : فإنّ إبراهيم كان يهوديا . فقال لهما الرسول صلى الله عليه وسلم : إنّ بيننا وبينكم التّوراة . فهلمّوا إليها . فأبيا . بل زعموا أنّ النّار لن تمسّهم إلا أيّاما معدودات وأنّ الله وعد (يعقوب) ألا يعذّب أبناءه [2] .

وهذا الافتراء والغرور والاعتقاد الباطل مؤدّن سفالة ، فكانوا لا يتنافسون في تزكية الأنفس وقد أخبر الله تعالى عن مفاسد هذا الغرور والافتراء بإيقاعها في الضلال الدّائم لأنّ المخالفة إذا لم تكن عن غرور فالإقلاع عنها مرجوّ أمّا المغرور فلا يترقب منه الإقلاع .

والتوافق الثاني الذي بينهما هو حملهما أسلوبا واحدا ومعنى واحدا ، كون المناسبة واحدة وهو الإشارة إلى توليهم وإعراضهم . والباء للسببيّة إي أنّهم فعلوا ما فعلوا بسبب زعمهم أنّهم في أمان من العذاب إلا أياما قليلة .

أما الاختلاف الوارد بين قوله تعالى " لن تمسّنا النّار إلا أيّاما معدودة " من سورة البقرة وقوله تعالى في سورة آل عمران " لن تمسّنا النّار إلا أيّاما معدودات " فنلمحه بين الكلمتين " معدودة " و" معدودات " . فقد جاءت الأولى بالإفراد بينما جاءت الثانية بالجمع . والسّبب في الجمع إذا كان واحده مذكرا أن يقتصر في الوصف على التأنيث نحو قوله تعالى " سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة " (الغاشية : 13)

---

1) البرهان في العلوم و القرآن 1 / 128

2) التحرير و التنوير 3 / 211

فكلمة أكواب واحدها كوب وهو اسم مذكر[1] . فاقتصر في الجمع على تأنيثها . كذلك هو الحال مع كلمة " أيّام " التي مفردها " يوم " وهو مذكر ووصفه بالتأنيث كلمة " معدودة " فجاء في سورة البقرة على الأصل وفي آل عمران على الفرع[2].

ومن أمثلة الجمع والإفراد كذلك قوله عز وجل " وقال الذين كفروا لا تأتينا السّاعة قل بلى وربّي لتأتينّكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السّماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين " (سبأ :3) وقوله عز وجل " وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنّا عليكم شهودا إذ يفيضون فيه وما يعزب عن ربّك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السّماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين "(يونس61)

و ما يخصنا من الآيتين قوله عز وجل " لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لا في الأرض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين". من سورة سبأ . وقوله تعالى " و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض و لا في السماء . ولا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا في كتاب مبين ".

نقف أولا عند التوافقات الموجودة بين الجملتين :

مضمونهما واحد وهو أن علم الله لا حدود له . فهو يعلم ما في السموات والأرض وكل عنده في كتاب مبين وقد دلّ على ذلك الألفاظ التي استعملها . فيعزب من العزوب أي البعد . وهو مجاز هنا للخفاء وفوات العلم ، لأن الخفاء لازم الشيء البعيد . ولذلك علق باسم الذات دون صفة العلم فقال " عن ربّك " والمثقال : اسم آية لما يعرف به مقدار ثقل الشيء . فهو وزن مفعال من ثقل ، وهو اسم لصنع مقدر بقدر معيّن يوزن به الثقل .

والذرّة : النملة الصغيرة ، ويطلق على الهباءة التي ترى في ضوء الشمس كغبار دقيق جدا .

والمراد بالأرض والسّماء العالم السّفلي والعالم العلوي . وقد ذكر الله عز وجل وجدل الذرة مبالغة في الصّغر والدّقة للكناية بذلك عن إحاطة العلم بكلّ شيء[3].

---

1) البرهان في علوم القرآن . 1/ 128

2) المصدر نفسه . 1 / 128

3) التحرير و التنوير .11/ 214

كما تنتهي كل من جملة سبأ وجملة يونس بنفس الفاصلة وهي " مبين " .
لكن مع هذه التوافقات فهناك اختلاف وارد بين قوله " لا يعزب عنه مثقال ذرة في السّماوات ولا في الأرض " وقوله تعالى " وما يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماء"

والاختلاف الحاصل بين الجملتين هو مجيء كلمة " السماء " بالتّقديم والجمع في آية سبأ ، بخلاف آية يونس التي وردت فيها هذه الكلمة بالتّأخير والإفراد .

والسبب في ذلك أنّه لما كان الكلام في سورة سبأ عن الساعة وخبرها قدّم كلمة " السموات " لأن أمر الساعة يأتي من السماء وهي تبدأ بأهل السماء أوّلا ثم أهل الأرض كما قال عزوجل " ويوم ينفخ في الصّور ففزع من في السماوات والأرض إلا من شاء الله"(النمل:78)

ولمّا كان الكلام في آية يونس عن أهل الأرض والأعمال التي يقومون بها ناسب ذلك تقديم الأرض عن السّماء .

أمّا يتعلق بمجيء الأولى بالجمع وهي " السموات " والثانية بالإفراد وهي " السّماء " فقولنا عن ذلك هو أنّ كلمة السّماء تعني كل ما علا وارتفع فتشمل السموات وغيرها كالسّحاب والمطر والجو وغيره .

وهي بذلك أعمّ وأشمل من كلمة " السماوات " وهذا هو السبب في جمعها مرّة وإفرادها مرّة أخرى .

فلمّا كان الحديث عن سعة علم عزوجل وإحاطته بالأمور الغيبية واستغراق علمه لكلّ شيء كان لا بدّ من استعمال اللفظة المناسبة لهذا المقام فاختار الله لفظة السّماء . وهذا في جملة يونس ، بخلاف ما جاء في جملة سبأ حيث اختار فيها عزوجل لفظة السموات . لأنّ المقام ليس مقام استغراق وإحاطة بكل شيء[1] .

---

1) فاضل صالح السمرائي . التعبير القرآني .ص 230

7- **الإدغام وتركه** :

وهي أن تأتي الكلمة في موضع بالإدغام وفي آخر بفكّه وتركه ونجد هذا بين قوله عزوجل " ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب " (الأنفال : 13) وقوله في الآية الرابعة من سورة الحشر" ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ، ومن يشاق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب "

فالمناسبة بين الآيتين واحدة وهي تبشير الله عزوجل للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بإمداده لهم بجيش من الملائكة وبشّرهم أيضا بكيفية النّصر وأنّه أوحى

للملائكة أن يثبتوهم يوم بدر حين قال"إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرّعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان"(الانفال13)

وإيحاء الله إلى ملائكته مقصود منه تشريفهم وتشريف العمل الذي سيكلّفون به لانّ (المعيّة) تستدعي المصاحبة فكان قوله لهم " أني معكم " مقدمة للتكليف بعمل . أي أني معكم في عملكم الذي أكلفكم به ، وهو تثبيت قلوب المؤمنين يوم عزوة بدر ، وإزالة الاضطراب النفسي عنهم الذي يولّد الخوف وعدم استقرار الرأي واطمئنانه[1] . ثم أتبع ذلك قوله عزوجل " ذلك بأنّهم شاقوا الله ورسوله " تعليل لأن الباء في قوله " بأنّهم " باء السببيّة فهي تفيد معنى التّعليل ، والمخاطب بهذه الجملة إمّا الملائكة لإطلاعهم على حكمة فعل الله تعالى وزيادة تقربهم وإمّا المخاطب هنا هم الذين ستبلّغهم الآية من المشركين الأحياء بعد غزوة بدر . ولذا فالجملة معترضة للتحذير من الاستمرار على مشاقة الله ورسوله . والمشاقة هي العداوة بعصيان وعناد .

وتتوافق الجملتان أيضا في حملهما تركيبا لغويا واحدا . فكل منهما تبتدئ بالشرط وتنتهي بالجزاء . ومنه فإن هذه الجملة " ومن يشاقق الله ورسوله فإنّ الله شديد العقاب " تذييل يعمّ كل من يشاقق الله ورسوله ، والمراد بقوله تعالى " فإنّ الله شديد العقاب " كناية عن عقاب العصاة وبذلك يكون الارتباط بين الجزاء وبين الشرط ، وهي كناية عن تعلق مضمون ذلك الخبر بمن حصل منه مضمون[2] .

---

1) التحرير و التنوير 9 / 281

2) المصدر نفسه 9 / 284

ولهما أيضا نفس الفاصلة . فعلى الرغم من اختلاف الموضعين إلا أنّ انتهاءهما كان بفاصلة واحدة وهي كلمة " العقاب " .
أمّا ما ميّز جملة عن أخرى . فهي ظاهرة الإدغام . فلقد جاءت جملة الأنفال بفك الإدغام بينما وردت جملة الحشر بالإدغام . والسبب في ذلك هو أنّه إذا كان الفعل المضارع مجزوما ولم يتّصل بألف اثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة ، أي أنّه لم يكن من الأفعال الخمسة جاز فيه الإدغام والإظهار معا [1] . فالإدغام كان في قوله " ومن يشاق " أما الإظهار فكان في قوله " ومن يشاقق " . ولقد عمد الله عز وجل إلى هذا التنويع لتتجدّد في نفس القارئ للقرآن الكريم معان لا تحصل له بقراءتها في المواضع الأخرى وهذه هي قوة الإعجاز القرآني .

---

1) طالبي عبد الحفيظ . دروس في الصرف العربي . دار الغرب للنشر . ط / 1 /2002 /ص 132

8- **إبدال كلمة بأخرى:** ومن أمثلة هذا النوع قوله عز وجل " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط . وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربّهم . لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (البقرة : 136)

وقوله تعالى " قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيوون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون " (آل عمران:84) .

تتوافق الآيتان في المناسبة وهي أنّه لمّا تفرّق النّاس كل حسب هواه بعدما علموا ما في كتب الله ثم كفروا بعد ذلك بأنبيائهم إذ عبد اليهود الأصنام وعبد النّصارى المسيح وقد شهدوا أنّ محمدا صادق لقيام دلائل الصدق ، ثمّ كابروا وشككوا النّاس في الذين الإسلامي كلاما جامعا لمعنى الإسلام . ليدوموا عليه ويعلن به الأمم .

كما حملت الآيتان نفس الأسلوب من بدايتها إلى نهايتها فقد بدأت كل واحدة منهما بالمخاطبة بالقول من عند الله عز وجل ثم الإقرار بالإيمان بالرسل والأنبياء ثم النّهي عن التعريف بين أحد من الرّسل ومعاداته .

ولهما فاصلة واحدة وهي كلمة " مسلمون "

وما يلاحظ في قوله تعالى " قل آمنّا بالله وما أنزل إلينا " من سورة البقرة . أن الجملة جاءت بكلمة " إلينا " بينما جاءت جملة آل عمران بكلمة " علينا " . والسّبب في ذلك هو أنّ المخاطب في جملة آل عمران هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ليقول ذلك بمسمع من الناس : مسلمهم وكافرهم[1] . ولذلك جاء قوله " وما أنزل علينا " أي أنزل عليّ لتبليغهم فجعل إنزاله على الرّسول والأمّة لاشتراكهم في وجوب العمل بما أنزل . وعدّى فعل " أنزل " هنا بحرف " عليّ " باعتبار أنّ الإنزال يقتضي علوّا . فوصول الشيء المنزّل وصول استعلاء وعدّي في جملة البقرة بحرف " إلى " باعتبار أنّ الإنزال يتضمّن الوصول وهو يتعدى بحرف " إلى " لأنّ المخاطب هو الملأ العام وهو أقل مرتبة من النبي صلى الله عليه وسلم [2] .

وهناك اختلاف آخر بين الجملتين ظاهرا في أوّلهما ، حيث جاءت المخاطبة في الجملة الأولى بالجمع وبالفعل " قولوا " لأن المعنيين هم المسلمون . بينما

---

1) التحرير و التنوير . 4 / 303

2) المصدر نفسه . 4 / 362

جاءت المخاطبة في الجملة الثانية بالإفراد وبالفعل " قل " لأن المعنى بالمخاطبة هو النبي عليه الصلاة والسلام .
ومن أمثلة هذا النوع كذلك قوله عزوجل " كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق " (الحج : 22) . وقوله عزوجل " كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم تكذبون " (السجدة : 20) .
فمضمون الآيتين واحد . وهو ذكر جزاء المؤمنين والكافرين يوم القيامة ، فقد جاء قبل آية الحج قوله عزوجل " إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار " . وذكر قبل آية السّجدة قوله عزوجل " أمّا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات فلهم جنّات المأوى "
أمّا الاختلاف الوارد بين الجملتين فيتمثل في إبدال كلمة " الحريق " من آية الحج بكلمة " النار " في آية السجدة . والسبب في ذلك راجع إلى أنّ آية الحج قيلت في الكافرين فلقد سبقت بقوله تعالى " فالذين كفروا قطّعت لهم ثياب من نار يصبّ من فوق رؤوسهم الحميم " أمّا آية السّجدة فقد قيلت في الفاسقين . لأنّ الآية سبقت بقوله عزوجل " وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النار" والفسق قد يطلق على ما دون الكفر . فلمّا صرّح بالكفر الذي هو أعظم من الفسق كان العذاب أشدّ وهو الحريق ، لأنّ الحريق هو النّار البالغة في الإحراق . فناسب كل صنف عذابه الذي ذكر معه[1] .

---

1) التعبير القرآني . ص 242

الفصل الثاني:

II- مظاهر البيان في الجمل القرآنية المتشابهة

مباحث الفصل الثاني:

1- التوكيد
2- الذكر و الحذف
3- الإيجاز
4- التكرار
5- الحشد الفني في الجمل القرآنية المتشابهة

II- مظاهر البيان في الجملة القرآنية المتشابهة :

من أهم وجوه الإعجاز القرآني : الإعجاز اللغوي فالحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز ، الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجملة ، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية ، والآية في موضعها من الإعجاز في تماسك السورة وتمام معناها[1] .

ولعلّ ظاهرة التشابه بين الجمل القرآنية من أهم موضوعات الإعجاز اللغوي وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ، وإذا تأملنا هذه الظاهرة نجدها أمرا مقصودا قائما على أعلى درجات الفن والبلاغة ولانكشف لنا سر مستور أو كنز مخبوء من كنوز هذا التعبير الفني العظيم .

ولعلّ فن البلاغة هو المطلع على أسرار القرآن الكريم ، والكافل بإبراز إعجاز النظم[2] المبين ، وبراعة التركيب مع سهولة التركيب وجزالتها لفظا ومعنى فالأمر مجموع المعاني والألفاظ معا[3].

والجمل القرآنية المتشابهة تتماز فيها بينها من حيث تشكيلها البلاغي ، وإن كان هذا التشكيل يفرز في مجموعة سحرا بيانيا كما سنعرف هذا من خلال الأساليب البلاغية التالية :

---

1) مناع قطان " مباحث في علوم القرآن " ص 257-262

2) " النظم : أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه و أصوله ، و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها . و تحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيئ منها " . أنظر " دلائل الإعجاز " ص 94 و أنظر . مصطفاوي عبد الجليل " صور البيان في تفسير الزمخشري " رسالة دكتورة . ص 284

3) البرهان في علوم القرآن 2 / 382

1) **التوكيد** :

وهو الحمل على ما لم يقع ليصير واقعا ، ولهذا لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر لئلا يلزم تحصيل الحاصل ، وإنما يؤكد المستقبل [1] .

والتوكيد في القرآن الكريم وحدة متكاملة ، ينظر إليه نظرة شاملة ، وقد راعى القرآن الكريم أدقّ المراعاة في جميع ما ورد من مواطن التوكيد ، فقد يكون الكلام لا يحتاج إلى توكيد ، وقد يحتاج إلى مؤكد واحد أو أكثر بحسب ما يقتضيه الموضع[2]. فهو في غاية الدقة في اختيار الألفاظ المؤكدة في وضعها الموضع المناسب بحسب طريقة فنية متقنة ، فتجده يؤكد في موطن ما مراعيا موطنا آخر فتعرف أنه أكد في هذا الموطن لسبب اقتضى ذلك وترك التوكيد في موطن أخر يبدو شبيها به لانعدام موجبه ، وكذلك في اختيار المؤكدات فهنا يؤكد بالنون المخففة ، وفي موطن آخر بالنون الثقيلة ، وهنا بأن المشددة وفي موطن آخر بأن المخففة وفي هذا الموضع بالآم وفي غيره بحرف آخر كل حسب ما يقتضيه المقام وتستدعيه الحاجة[3] .

ومن ذلك الإتيان باللام التي تفيد التوكيد وذلك نحو قوله تعالى " فادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فلبس مثوى المتكبرين " (النحل : 29)

وقوله تعالى أيضا " قيل أدخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين"

(الزمر: 72) وقوله عزوجل أيضا " أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين" (غافر : 76) ، فقد أدخلت لام التأكيد في جملة النحل على" بئس" فقال فلبئس مثوى المتكبرين .

بينما جاءت الجملتان الأخريتان بدونها " فبئس مثوى المتكبرين " والسبب في ذلك أن الله عزوجل وصف قوما أشدّ كفرا وأكثرهم جرما في سورة النحل من المذكورين في الزمر وغافر ، وذلك أنّهم ضلوا وأضلوا غيرهم وحملهم أوزار الذين يضلونهم مع أوزارهم فزاد عذابهم . قال عز وجل " ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون " (النحل : 25) فناسب ذلك زيادة اللام لتوكيد العذاب لهم بخلاف

---

1) البرهان في علوم القرآن 2 / 384 و أنظر محمد موسوني " الجواب في القرآن الكريم " رسالة دكتورة . ص 182

2) السيوطي " الإتقان في علوم القرآن " / ط 3 / ت 1370 هـ - 1951 / ج 2 ص 64 – 65 .

3) فاضل صالح السامرّائي " التعبير القرآني" جامعة بغداد ت- 1986-1987 ص 115

الذين ذكرهم في سورة غافر ، لأنه لم يصفهم بمثل هذا الوصف ، فكما أفاض وتبسّط في الوصف زاد في التوكيد لأنه هو المناسب لمقام التبسيط والإفاضة[1] .

ومن ناحية أخرى فقد خصّت الجملة " فلبئس مثوى المتكبرين " وحدها بدخول اللام عليها لأن القوم المذكورين فيها هم الذين أخبر الله تعالى عن اتباعهم أنهم سألوهم عن القرآن الكريم فقالوا : هو ليس من عند الله وإنّما هو أساطير الأولين . قال تعالى وتبارك " وإذا قيل لهم ما أنزل ربّكم قالوا أساطير الأولين " (النحل : 24) وهؤلاء أشد الناس آثاما وأكثرهم عقابا . لذلك كانت المبالغة في التأكيد عندما كان التغليظ في العقاب ، فاختيرت اللام هنا لذلك. ولأن بعدها في ذكر أهل الجنة قال تعالى " ولدار الآخرة خير ولتعم دار المتقين " (النحل : 31) فاللام في " لنعم" مثل اللام في " لبئس" وليس كذلك في جملة الزمر وجملة غافر لأنها في ذكر جملة الكفار قال تبارك وتعالى " وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا " (الزمر : 71) . وقال عزوجل في سورة غافر " الذين كذّبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون " فلمّا كان المذكورون في سورة الزمر وسورة غافر أقل وزرا من المذكورين في سورة النحل . كان لابدّ من الابتعاد عن التوكيد ، لأنّ الوضع تطلّب ذلك . فالمذكورون في سورة النحل لزمهم وزران عن ذنوبهم وذنوب غيرهم ، أي أنّهم حملوا أثقالا مع أثقالهم وحسن التوكيد باللام .

ومن أمثلة التوكيد كذلك إدخال نون التوكيد على الفعل نحو قوله تبارك وتعالى " الحق من ربّك فلا تكوننّ من الممترين " (البقرة : 147) .

وقوله تعالى أيضا " فإن كنت في شك ممّا أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرئون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين " (يونس : 94)

وقوله تعالى " والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين " (الأنعام : 114)

وقوله عزوجل " الحق من ربك فلا تكن من الممترين "(آل عمران : 60) .

كما نلاحظ فقد ورد الفعل " تكون " مؤكدا بالنون في سورة البقرة والأنعام ويونس بينما ورد هذا الفعل في سورة آل عمران بدون توكيد . وذلك أن الموضع يقتضي التوكيد في كل موطن أكد فيه الفعل دون الموطن الذي لم يؤكد فيه ، فقد أكد في سورة البقرة لأن الحديث كان عن تبديل القبلة وما

---

1) التعبير القرآني ص 116

صاحب ذلك من أرجاف وأقاويل وإعلان حرب نفسية على المسلمين حتى ارتدّ بعض ضعاف الإيمان . قال عزوجل " سيقول السّفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم " (البقرة : 143) وذكر أنهم لن يتوجّهوا إلى قبلة المسلمين مهما جئتهم بالآيات البيّنات[1] فقال " ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض " (البقرة : 144) وأمّا في آيةآل عمران فليس الأمر كذلك فقد قال " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين "(آل عمران : 59 – 60) .

ففي جملة البقرة يوجد من الإرجاف والفتنة ما ليس في آل عمران فاحتاج الموضع في البقرة إلى التوكيد بالنون بخلاف موضع آل عمران .

وكذلك الأمر بالنسبة لجملة يونس فقد اقتضى الأمر التوكيد بالنون فقال عزوجل " فإن كنت في شك ممّا أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين " (يونس : 94) . فلمّا قال عزوجل " فإن كنت في شكّ " احتاج إزالة الشك إلى التوكيد بالنون .

وكذلك ما جاء في جملة الأنعام فإن الحديث فيها عن تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم الإيمان به حتى قال تعالى " ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون " (الأنعام : 111) . فاحتاج الموضع إلى توكيد أنه على الحق وأته عليه إلا يكون من الممترين فلأكد في الموطن الذي اقتضى ذاك بخلاف ما لم يقتضي ذاك .

وقد يكون التوكيد أيضا بالألفاظ المعروفة للتوكيد وقد يستلزم حضورها في موطن وتترك في موطن آخر شبيها به . فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى " ويكون الدّين لله " (البقرة : 193) وقوله تعالى " ويكون الدّين كلّه لله " (الأنفال : 39)

فقد أكد عزوجل الدين بلفظ " كلّ " في الأنفال بخلاف البقرة وذلك لأنّ القتال في البقرة مع أهل مكة فحسب ، أمّا في الأنفال فمع جميع الكفار ولهذا كان التّعميم أولى[2]. بدليل ذكر المسجد الحرام الموجود في مكة في سورة البقرة

---

1) للتعبير القرآني ص 121

2) للتعبير القرآني ص 128

قال تعالى " ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه " بينما لم يذكر القتال عند المسجد الحرام في سورة الأنفال بل جعله عامّا فقال " قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنّة الأولين ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الذين كلّه لله فإن انتهوا فغنّ الله بما يعملون بصير " (الأنفال : 38 – 39) فلمّا كان القتال هنا عامّا عمّه الدّين فقال " كله " .

هذا ومن ناحية أخرى أن القتال في سورة البقرة مخصوص بصدّ العدوان أمّا في الأنفال فجاء القتال عاما فناسب وضع " كل " ودليل ذلك هو ختام الآيتين . فلقد انتهت آية البقرة بقوله تعالى " فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين " بينما كان ختام آية الأنفال بقوله تعالى " فأن انتهوا فإنّ الله بما يعملون بصير " .

ويكون التوكيد أيضا باستعمال ضمير الفصل ، فتراه يستعمله حسبما يقتضيه السياق والفن .

ومن أمثلة ذلك على سبيل المثال قوله تعالى " ذلك بأنّ الله هو الحق وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل وإن الله هو العليّ الكبير " (الحج 62)

وقوله تبارك وتعالى أيضا " ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العليّ الكبير " (لقمان : 30) .

فتشابه الآيتين واضح ، إلا في وجود ضمير الفصل في آية الحج قوله تعالى " هو الباطل " وخلوّها منه في آية لقمان قوله تعالى الباطل.

والسبب في ذلك أن آية الحج واقعة في سياق الصّراع مع أهل الباطل ومجاهدتهم أشق أنواع الجهاد وقد ذكر نتائج هذا الصراع من هجرة من الديار والأرض والقتل والموت في قوله تعالى " والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين " (الحج : 58) .

في ذكر أصحاب الباطل في سورة لقمان من وجه آخر ليس فيه هذا الصراع قال عزوجل " وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السّعير "(لقمان: 21)

فنحن نرى أن أهل الباطل في آية الحج ساعون معاجزون ومعاندون ومصارعون ومتمكنون في الأرض نتيجة هجرة المؤمنين أو قتلهم أو موتهم ، فاحتاج الأمر إلى زيادة تثبيت المؤمنين وعدم افتتانهم بسلطة أهل الباطل فاقتضى السياق توكيد أن ما هم عليه هو الباطل ، أما الآية الثانية فهي في

سياق الجدل العقلي والمحاجة بين الفريقين وليس فيها ذكر لصولة الباطل وبطشه فلم يقتض السياق التوكيد كما اقتضاه في آية الحج [1]

وهناك طريقة أخرى للدلالة على التوكيد وهي أن يختص حرفا بالدّلالة على التوكيد دون نظيره وذلك كاستعمال " الهمزة " و" هل" واستعمال حرف النفي ، فهو يستعمل

" هل" للتوكيد دون " الهمزة" ، ويستعمل " ما" للتوكيد دون " ليس" ويستعمل" إن" للتوكيد دون " ما " وكل ذلك حسب ما يصلبه السياق وبطريقة فنية عجيبة [2] .

فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى " أفأنبئكم بشر من ذلكم" (الحج : 72) وقوله تعالى " هل أنبئكم بشر من ذلك " (المائدة : 60)

فالملاحظ أنه استعمل " الهمزة " و" هل " مع الفعل نبأ ، لكن مع قليل من الدّقة نجد أنّه استعمل " هل " لما هو أقوى وأكد في الاستفهام ، لأن كل من " الهمزة " و" هل " تستعملان لطلب التصديق أي معرفة وقوع الشيء أو نفيه والجواب عنهما يكون إمّا بنعم وإمّا لا[3] . لكن "هل" تتميّز بقوة اتصالها بالفعل لفظا أو تقديرا لذلك يكون اتخاذها في الآيات الاستفهامية أقوى من اتخاذ " الهمزة " .

قال تعالى " وإذا تتلى عليهم آياتنا بيّنات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلوا عليهم آياتنا، قل أفأنبئكم بشرّ من ذلكم ، النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير"(الحج : 72) . فالاستعمال هنا كان بالهمزة ، وقال تعالى" يا أيها الذين آمنوا لا تتّخذوا الذين اتّخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، وإذ ناديتم إلى الصلاة اتّخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منّا إلا أن آمنّا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأنّ أكثرهم فاسقون قل هل أنبئكم بشرّ من ذلك مثوبة عند الله " (البقرة : 57 – 60) . فاستعمل هنا "هل" والفرق بين سياق الموضعين يبدوا واضحا ففي الآية الثانية نجد أنّ السياق فيه قوة وشدّة بالغة على الكافرين وكيف أنّهم اتّخذوا الدّين والنداء والصلاة هزوا ولعبا وقد

---

1) ملاك التأويل 2 / 724

2) التعبير القرآني ص 135

3) الهاشمي سيد أحمد " جوهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع " ط 6 – مطبعة الاعتماد مصر ص 70

وصفهم بالفسق وعدم العقل[1] وأن الله لعنهم وغضب عليهم ووصفهم بأقبح الوصف . ولا نجد هذا في الآية الأولى لذلك جاءت الأولى " بالهمزة " والثانية بـ " هل"

وكذلك استعمال إنْ وما النّافيتين فيستعمل إن لما هو آكد . ومن ذلك قوله تعالى " ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يرو كلّ آية لا يؤمنون بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأوّلين "(الأنعام : 25) وقوله تعالى " والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إنّ وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين" (الأحقاف: 17).

فقال تبارك وتعالى في الأولى " إنْ هذا إلّا أساطير الأوّلين " وقال في الثانية " وما هذا إلا أساطير الأوّلين " والأولى كانت أشدّ تأكيدا لأن درجة التكذيب فيها أشدّ ممّا في الآية الثانية ولأنّ الصفات التي تستدعي قوة التكذيب والإنكار كانت في المكذبين الأولين أشدّ وأقوى لذلك استدعى الأمر أن يستعمل أداة النفي " إنْ" بخلاف الثانية التي استعمل فيها أداة النفي " ما" لأن سياق الآية الثانية لم يقتضي التأكيد[2] . ومن ناحية أخرى فقد قال في الآية الأولى تعابير أشدّ وأقوى لتبيان حالة المكذبين فقال " وجعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه " وقال " وفي آذانهم وقرا " وقال أيضا " وإن يرو كلّ آية لا يؤمنون بها " .

ويكون التوكيد أيضا بـ " إنّ" المشدّدة وذلك في قوله تعالى " قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنّا لخاطئين " (يوسف: 91) وقال تبارك وتعالى " قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا لخاطئين " (يوسف :96) . وهذا الكلام قاله اخوة يوسف عليه السلام لكن في الآية هو موجّه إلى أخيهم يوسف عليه السلام أمّا في الآية الثانية فهو موجّه إلى أبيهم سيدنا يعقوب عليه السّلام فقالوا لأخيهم يوسف " وإن كنّا لخاطئين " بـ " إنْ" المخففة وقالوا لأبيهم " إنّا كنّا خاطئين " بـ " إنّ " المشدّدة ، والسبب في ذلك أن اخوة يوسف لمّا رأوا ما حلّ بأبيهم من جرّاء فعلتهم من اللوعة وحرقة الفؤاد وذهاب البصر من الحزن دعاهم ذلك إلى توكيد الاعتذار والاعتراف بالخطيئة فقالوا

---

1) التعبير القرآني . ص 136

2) المرجع نفسه . ص 137

أنّ الله أكرمه بعدهم وبوّأه مكانة عالية ومكّن له في الأرض كان اعتذارهم منه والاعتراف بالخطيئة أخفّ وأقلّ فناسب ذلك استعمال" إنّ" المخففة[1].
من ناحية أخرى وكأنّ اخوة يوسف عليه السلام أحسّوا أنّ ما فعلوه مع أبيهم عادت عليه بالهمّ والحزن والعمى فأحسّوا بالذنب وشدّة خطيئتهم فكان لابدّ عليهم من توكيد الاعتذار بينما أحسّوا أنّ ما فعلوه مع يوسف عاد عليه بالخير والرّفعة فكان شعورهم بالذنب أخفّ وأقلّ من الذنب الأوّل .

1) التعبير القرآني . ص 145

2) الذكر والحذف :

لاشكّ أن الحذف هو نقيض الذكر ، يعرّفه الزماني (ت : 386 هـ) في كتابه النكت في إعجاز القرآن فيقول " فالحذف إسقاط كلمة للاجتراء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام "[1] .

ويقول عنه عبد القادر الجرجاني " إنه باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر شبيه بالسّحر ، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيدُ للإفادة وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبنْ "[2]

وهذه الظاهرة البلاغية نجدها كثير في التعبير القرآني ، كأن تحذف لفظة ، أو أكثر حسبما يقتضيه السياق ، أو قد يحذف حرف أو يذكره أو يجتزئ بالحركة للدلالة على المحذوف وكل ذلك يكون في غاية الفن والجمال ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى " ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق ممّا يمكرون " (النحل : 127) ، وقوله تعالى أيضا " ولا تحزن عليهم ولاتكن في ضيق ممّا يمكرون "(النمل : 70) فحذف نون "تكن" في آية النحل وإبقائها في آية النمل يعود إلى اختلاف مضمون الآيتين واختلاف مناسبتهما . فالآية الأولى نزلت في قصة التمثيل بحمزة عمّ النبي صلى الله عليه وسلم بغزوة أحد حين توعّد الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين بأن يمثّل بسبعين منهم عن أظفره الله بهم [3] . فنزل قوله تعالى " وإن عاقبتهم فعاقِبوا بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق ممّا يمكرون ،إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " (النحل : 126 – 127)

فقد أوصاه الله بالصبر ونهاه أن يكون في ضيق من مكرهم فقال له تعالى " ولاتك في ضيق ممّا يمكرون " فحذف النّون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من الصدر أصلا وهو مناسب لضخامة الأمر وشدّة حزن النبي صلى الله عليه وسلم وتخفيف للحدث وتهويته على المخاطب فخفف الفعل بالحذف إشارة إلى تخفيف الأمر على النفس ، أمّا الثانية فهي في سياق المحاجة فغي الميعاد وهو ممّا لا يحتاج إلى التّصبير، قال تبارك

---

1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الخطابي – الرماني – الجرجاني .

2) عبد القادر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص 150

3) ابن الكثير (تفسير القرآن العظيم) – دار الحياد للكتب العربية – ط 3 ج 2 ص 592 .

وتعالى " وقال الذين كفروا أإذا كنّا ترابا وآبائنا أإنّا لمخرجون ؟ لقد وعدنا هذا نحن وآبائنا من قبل إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين قل سيروا في الأرض فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ، ولا تحزن عليهم ولاتكن في ضيق ممّا يمكرون " (النمل : 67 – 70)

ومن ناحية أخرى أن آية النحل كانت فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حين قتل عمّه حمزة ومثّل به ، فأنزل " ولئن صبرتم لهم خير للصابرين واصبر وما صبرك إلاّ بالله ولا تحزن عليهم ولاتك في ضيق ممّا يمكرون " ليكون ذلك مبالغة في التسلي فجاء الفعل "تكن" على الشذوذ بحذف النون وجاء الفعل في آية النمل على القياس ، لأن الحزن الأول كان أعظم من الحزن الثاني[1] .

ومن أمثلة الحذف والذكر قوله تعالى " وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبنائكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم "(البقرة :49)

وقال تبارك وتعالى " وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمت الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبّحون أبنائكم ويستحيون نسائكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم "(إبراهيم : 6) . فكما نلاحظ بين الآيتين أنه في آية البقرة قال " يذبّحون أبنائكم" بينما قال في آية إبراهيم " ويذبحون أبنائكم " فحذفت الواو في الجملة الأولى وذكرت في الجملة الثانية . والسبب في ذلك أنه في سورة إبراهيم تقدّم قوله تعالى " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّار شكور" (إبراهيم :5) وهي أوقات عقوبات واللائق أن يعدّد امتحانهم تعديدا يؤذن بصدق جمع عليه لتكثير المنّة ، ولذلك أتى بالعاطف ليؤذن بأنّ إسامتهم العذاب مغاير لتذبيح الأبناء وسبي النساء ، وهو ما كانوا عليه من التسخير ، وهذا بخلاف ما في البقرة لأنّ ما جاء بعد قوله" يسومونكم سوء العذاب"هو تفسير له[2] .

فلم يعطف عليها " يذبّحون أبنائكم " لذلك حذفت الواو في الآية الأولى وذكرت في الآية الثانية وذلك حسب ما يقتضيه السّياق .

---

1) التعبير القرآني ص 74

2) البرهان في علوم القرآن 120/1

ومن أمثلة الحذف والذكر قوله تعالى " وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله" (البقرة: 23) وقال عزوجل" أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله" (يونس: 38) ، ففي الآية الأولى ذكرت "من" بينما حذفت في الآية الثانية . والسبب في ذلك أنّه لمّا كانت سورة البقرة سنام القرآن وأوّله بعد الفاتحة حسن دخول " من " فيها ، ليُعلم أنّ التحدّي واقع على جميع القرآن من أوله إلى آخره ، بخلاف غيرها من السّور، فإنّه لو دخلت " من" على آية يونس لكان التحدّي واقعا على بعض السّور دون بعض ، ولم يكن ذلك بالسّهل[1]. فناسب ذكرها في آية البقرة وإسقاطها من آية يونس .

ومن ذلك ذكر ياء المتكلّم أو حذفها والاجتزاء بالكسرة ، نحو قوله تعالى " ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ، قل ادعوا شركائكم ثم كيدون فلا تنظرون" (الأعراف : 195) ، وقوله تبارك وتعالى أيضا " يا هود ما جئتنا ببيّنة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله ، وأشهدوا أنّي بريء ممّا تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون " (هود : 54 – 55)

وقبل الحديث عن أسباب ذكر الياء وحذفها . يمكن أن نذكر أصلا عامّا في ذكر الياء وحذفها وهو : أن الاجتراء بالكسرة عن الياء يختلف عنت ذكرها ، ففي كل موطن ذكرت فيه الياء إلاّ ويكون فيه المقام مقام إطالة وتفصيل في الكلام بخلاف الاجتراء بالكسرة فإن فيه اجتراء في الكلام .

هذا علاوة على السّياق الذي يقتضي الذكر والحذف[2] . ففي آية هود هناك تحدّ كبير ومواجهة حادّة بينه وبين قومه ، فقد دعاهم إلى عبادة الله وحده فقال لهم" يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون" (هود: 50) ، فردّوا عليه " يا هود ما جئتنا ببيّنة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء " (هود: 53) فهم لم يكتفوا بعدم التصديق به بل اخبروه أن بعض آلهتهم اعتراه بسوء ممّا جعله يتحدّاهم ويتحدى آلهتهم ، وأشهد الله وأشهدهم على براءته من آلهتهم . ثم دعاهم وجميعا إلى كيدهم له أن استطاعوا وزيادة كلمة" جميعا" زيادة في

---

1) البرهان في علوم القرآن 115/1

2) التعبير القرآني ص 76

التحدي ردّ على قولهم .فلمّا تحدى الجميع ناسب ذلك ذكر الياء بعد نون الوقاية ليظهر نفسه وهو قمة التحدّي .
بخلاف آية الأعراف التي كان فيها التحدّي أقلّ وأقصر من تحدي آية هود . فناسب حذف الياء وأجتزأ بالكسرة، فناسب بين طول الكلمة وطول السياق. فجعل الكلمة الطويلة للسياق الطويل وهذا في آية هود ، وجعل الكلمة القصيرة للسياق القصير وهذا في الأعراف .
ومن ناحية أخرى أنّ الياء تردد ذكرها في سورة هود عدّم مرات فقد قال" إني أشهد الله" وقال" أشهد أني بريء" و" فكيدوني جميعا" ، "إني توكلت على ربي وربكم" و" إنّ ربي على صراط مستقيم" و"يستخلف ربي قوما غيركم" ،" إن ربي على كل شيء حفيظ" . وليس الأمر كذلك في الأعراف إذ لم تذكر الياء إلا مرّة واحدة في قوله " إنّ وليي الله"، فناسب الذكر في الأولى والحذف في الثانية[1] . ومن بديع الذكر والحذف قوله تعالى " فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل" (الأعراف: 101) وقوله " فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل" (يونس : 74) .
فلقد حذفت " به" من آية الأعراف وذكرت في آية يونس ، والسبب في ذلك راجع إلى السياق فلمّا كان سياق آية الأعراف هو إطلاق التكذيب دون ذكر بماذا كذّبوا . فلقد جاء قوله تعالى " ولو أنّ أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السّماء والأرض ولكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون " (الأعراف: 96) ، وهذا الإطلاق بالتكذيب له نظيره في الآية التي بعدها لكن هي الأخرى لم يذكر فيها بماذا كذّبوا حين قال" فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل " في حين أن سياق آية يونس كان فيها التخصيص والذكر بما كذّبوا فقد جاء قبل الآية المذكورة قوله تعالى " وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا" (يونس: 73) وهو نظير الذكر في الآية التي بعدها قوله عزوجل " فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا به من قبل " (يونس:74) . فذكر بما كذّبوا في الموطنين استدعى ذلك ما ورد من ذكر وحذف كل حسب السياق الذي جاء به [2] .
نبقى دائما مع الذكر والحذف بين سورة الأعراف وسورة يونس ومع نفس السياق السابق ذكره ، قال تعالى" ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه" (الأعراف: 103) ، وقال تبارك وتعالى أيضا " ثم بعثنا من بعدهم

---

1) التعبير القرآني . ص 77

2) المرجع نفسه. ص 86

موسى وهارون إلى فرعون وملئه " (يونس: 75) ، فلقد ذكر الله عزوجل في آية يونس أنه بعث موسى وهارون بينما حذف "هارون في آية الأعراف واكتفى بذكر موسى فقط. ولعلّ هذا راجع إلى ما سبق ذكره عن السياق الذي جاءت به آية يونس. فلما زاد بآياتنا في قوله " وأغرقنا الذين كذّبوا بآياتنا " منن الآية الثالثة والسبعين وزاد به في قوله " بما كذّبوا له من قبل" من الآية الرابعة والسبعين زاد (هارون)[1] في قوله " ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون" فإذا كان السياق فيه زيادة كان الذكر واجبا وإذا كان السياق فيه نقصان كان الحذف لابدّ منه .

ومن الذكر والحذف أيضا في الجمل القرآنية المتشابهة ذكر اسم الموصول في مواطن وحذفه في مواطن أخرى ، ومنة ذلك قوله تبارك وتعالى " له ما في السموات وما في الأرض " (طه:6) ، وقال" له ما في السموات والأرض " (البقرة: 116) وقال " والله يعلم ما في السموات وما في الأرض "(الحجرات:16) وقوله " يعلم ما في السموات والأرض"(العنكبوت:52) وقال تعالى" سبّح له ما في السموات وما في الأرض"(الحشر: 1) وقوله " سبّح لله ما في السموات والأرض " (الحديد : 1)

ومن المعلوم أنّ لابدّ في الكلام البليغ من سبب للذكر والحذف وخصوصا في القرآن الكريم الذي هو أعلى الكلام وأدّق التعبير فإذا كان الموضع دالا على التفصيل والإحاطة تكرّر ذكر الاسم الموصول نحو قوله تعالى " يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد. ألم ترى أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض " (المجادلة : 6) أمّا إذا كان الكلام مجمّلا فلا يذكر الاسم الموصول نحو قوله تعالى " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم يعلم ما في السموات والأرض " (العنكبوت : 52) فالفرق واضح بين الموطنين : ففي آية المجادلة من ذكر لسعة علم الله وشموله وإحاطته بالجزئيات والتفصيلات ما ليس في آية العنكبوت فلمّا فصّل في المجادلة أعاد ذكر " ما" ولمّا أجمل في العنكبوت أجمل في ذكر الموصول فلم يُعِد ذكره .[2]

وكذلك هو الأمر بين قوله تعالى " له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى " (طه:6) ، قوله عزوجل " وله ما في السموات والأرض وله الدّين واصبا أفغير الله تتقون"(النحل : 52). فالفرق واضح

---

1) التعبير القرآني .ص 87

2) المرجع نفسه. ص 89

بين الموضعين في التفصيل والإحاطة . فذكر الاسم الموصول " ما" في الآية الأولى مرّتين لأنّ الموطن موطن شمول وتفصيل فقد ذكر أنّ له "ما في السموات " و" ما في الأرض" و" ما بينهما" و" ما تحت الثرى " بينما حذف الاسم الموصول في الآية الثانية لأنّ الكلام مجمل وغير مفصل فذكر في موطن التفصيل وأجمل في موطن الإجمال[1] .

وقد يكون إعادة ذكر الاسم الموصول أو حذفه لأمر آخر يخصّ أهل الأرض بذكر أمر من الأمور وإذا لم يذكره فإنّه لا يريد أن يذكرهم بأمر خاصّ بهم ، ويتّضح هذا جليّا في آيات التسبيح[2] خاصّة وهي:

قوله تعالى"سبّح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم"(الحديد: 01). وقوله عزوجل " سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم"(الحشر : 01) .

وقوله تعالى" سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم"(الصّف :01) .

وقوله عزوجل"يسبّح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدّوس العزيز الحكيم" (الجمعة : 01).

وقوله عزوجل " وسبّحوا بحمد ربّهم وهم لا يستكبرون"(السّجدة : 15) .

وقوله تعالى " يسبّح له السّموات السّبع والأرض ومن فيهنّ وإن من شيء إلا يسبّح بحمده"(الإسراء : 44) .

وقوله عزوجل"قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبّحون"(القلم: 28) .

وقوله تعالى" لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقروه وتسبّحوه بكرة وأصيلا"(الفتح:9) .

وقوله تعالى"ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك " (البقرة : 29) .

وقوله عزوجل"كي نسبّحك كثيرا"(طه : 32).

وقوله عزوجل " ويسبّح الرّعد بحمده والملائكة من خيفته"(الرعد : 14) .

وقوله عزوجل"يسبّح له فيها بالغدوّ والآصال رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع " (النور: 36) .

وقوله عزوجل"ألم ترى أن الله يسبّح له من في السموات والأرض " (النور : 41) .

---

1) التعبير القرآني ص 88

2) محمد فؤاد عبد الباقي " المعجم المفهرس لألفاظ القران الكريم " دار القلم (د : ت) ص 238

وقوله عزوجل "يسبّح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم" (الحشر : 24) .
قوله عزوجل " يسبّح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"(التغابن : 01) .
وقوله عزوجل"وسخّرنا مع داود الجبال يسبّحن والطير وكنّا فاعلين" (الأنبياء : 79).
وقوله عزوجل"إنّا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي و الإشراق" (ص:19).
وقوله عزوجل "يسبّحون الليل والنهار لا يفترون"(الأنبياء : 20) .
وقوله عزوجل " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم"(الزمر : 75) .
وقوله عزوجل"الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم" (غافر: 07).
وقوله عزوجل " فالذين عند ربّهم يسبّحون له بالليل والنهار" (فصلت : 38).
وقوله عزوجل " والملائكة يسبّحون بحمد ربّهم " (الشورى:5) .
وقوله عزوجل " ويسبّحونه وله يسجدون " (الأعراف: 206) .
وقوله عزوجل " وسبّح بالعشي والإبكار" (آل عمران : 41) .
وقوله عزوجل " فسبّح بحمد ربّك وكن من الساجدين " (الحجر: 98) .
وقوله عزوجل " وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح " (طه : 130) .
وقوله عزوجل " وسبّح بحمده ، وكفى به بذنوب عباده خبيرا " (الفرقان: 58) .
وقوله عزوجل " وسبّح بحمد ربّك بالعشي والإبكار " (غافر: 55) .
وقوله عزوجل " وسبّح بحمد ربّك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب " (ق: 39) .
وقوله عزوجل " وسبّح بحمد ربّك حين تقوم ومن الليل فسبّحه وإدبار النجوم"(الطور : 48 –49) .
وقوله عزوجل" فسبّح باسم ربّك العظيم "(الواقعة:74) .
وقوله عزوجل " فسبّح باسم ربّك العظيم" (الواقعة : 96).

وقوله عزوجل " فسبّح باسم ربّك العظيم" (الحاقة : 52) .
وقوله عزوجل " سبّح اسم ربّك الأعلى" (الأعلى :01) .
وقوله عزوجل " فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّابا "(النصر: 3) .
وقوله عزوجل " ومن الليل فسبّحه وإدبار السّجود " (ق : 40) .
وقوله عزوجل"وسبّحه ليلا طويلا"(الإنسان:26).
وقوله عزوجل" فأوحى إليهم أن سبّحوه بكرة وعشيّا"(مريم :11).
وقوله عزوجل " وسبّحوه بكرة وأصيل" (الأحزاب 42) .
فمن خلال هذه الآيات نجد انّه حيث تكرّرت " ما" فإنه تمّ ذكر أهل الأرض بعدها وحيث حذفت " ما " لم يذكرهم[1] ، نحو قوله تعالى " سبّح لله ما في السموات والأرض " (الحديد :01) وقوله عزوجل " سبّح لله ما في السموات وما في الأرض "(الحشر:1) فنلاحظ أن ما تكرّرت في آية الحشر بينما لم تتكرّر في آية الحديد ، والسبب في ذلك أنّه لم يعقب التّسبيح بالكلام عن أهل الأرض في آية الحديد فقد قال فيها عزوجل " سبّح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، هو الذي خلق السّموات والأرض" (الحديد : 1-4) ، بخلاف سورة الحشر فقد فذكر فيها أهل الأرض بعد آية التّسبيح[2] يقول تعالى " سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم ، هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأوّل الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنّوا أنّهم ما نعتهم حصونهم من الله " (الحشر : 1-2)
ومن أمثلة الذكر والحذف بين الجمل القرآنية المتشابهة قوله في سورة الصافات على لسان سيّدنا إبراهيم عليه السّلام " إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ؟ أإفكا آلهة دون الله تريدون ؟ فما ظننتم بربّ العالمين " (الصّفات : 85- 87) ، وقوله عزوجل في سورة الشعراء على لسانه أيضا " واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ؟ قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين " (الشعراء : 69 – 71) ، فذكر في الجملة الأولى " ما" وفي الجملة الثانية " ماذا " فقال" ماذا تعبدون؟" ثم قال " ما تعبدون؟" وهناك فرق بين " ما" و "ماذا" في الاستفهام . ففي " ماذا " قوّة ومبالغة في الاستفهام ليست في"ما". فقولك " ماذا فعلت ؟" أقوى وأبلغ من " ما فعلت ؟"

---

1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . ص 39

2) التعبير القرآن ص 90

ولعلّ ذلك يرجع إلى زيادة حروفها. أمّا سبب مجيء الآية الأولى بـ " ماذا" وحذف " ذا" من الآية الثانية ، هو أن الآية الأولى في موقف تحدّ ظاهر ومجابهة قوية بخلاف الآية الثانية ، فالمقام الأول لم يكن للاستفهام وإنّما كان مقام تقريع ولذلك لم يجيبوه عن سؤاله بل معنى يقرّعهم ويوبّخهم بقوله " أإفكا آلهة دون الله تريدون" أمّا في الجملة الثانية فكانت لاستفهام المحاجة إذ قال لهم " ما تعبدون ؟ " فكان جوابهم " نعبد أصناما فنظلّ لها عاكفين"

فلمّا قصد المبالغة والتقريع والتبكيت والتوبيخ استعمل اللفظة الأبلغ وهي ماذا والتي إن جعلت ذا بمعنى الذي فهو أبلغ من ما وحدها ، ولمّا قصد التنبيه اكتفى بـ " ما " وحذف" ذا" وحتى وإن جُعلا اسما كان أيضا أبلغ ممّا إذا خلت من" ذا"[1]

ومن الذكر والحذف أيضا قوله عزوجل " يوم تقلّب وجوهم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرّسول ، وقالوا ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السّبيل"(الأحزاب : 66- 76) . في حين قال في الآية الرابعة من السورة نفسها " والله يقول الحق وهو يهدي السّبيل " فجاءت كلمة " السبيل" في الجملة الأولى بزيادة حرف المدّ وهو الألف بينما حذف من هذه الكلمة في الجملة الثانية فلم يمدّها .

وذلك أن الكلام في الآية الأولى صادر من أهل النار وهو يصرخون فيها ويستنجدون ويمدّون أصواتهم بالبكاء ليستعطفوا الله ويستغفرونه فجاءت كلمة السبيل بالمدّ وهو المناسب لمدّ الصّوت بالبكاء ورفع المدّ في الجملة الثانية لأنّ سياقها يختلف عن الأولى فهو عبارة عن تذكير من الله لعباده برحمته في هدايتهم وقدرته في ذلك .

ومن الذكر والحذف أيضا بين الجمل المتشابهة القرآنية قوله تبارك وتعالى " ولمّا جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب " (هود : 77) وقوله تعالى أيضا " ولمّا أنْ جاءت رسلنا لوطا سيئ وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنّا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين " (العنكبوت : 33) .

فلقد وردت الجملة الثانية بذكر " إن " بعد " لمّا " حين قال" ولمّا أنْ جاءت رسلنا " بخلاف الجملة الأولى التي حذفت منها والقصّة واحدة . لكن السياق في سورة العنكبوت يتطلّب هذا الذكر وهذه الزيادة لأن الموطن فيها موطن إطالة وتفصيل فلقد أفاض الله عزوجل في ذكر القصّة في سورة العنكبوت

---

1) التعبير القرآن ص 97

أكثر مما هو في سورة هود ، فقد ذكر فيها الصفات السيّئة التي يتّصف بها قوم[1] لوط حين قال " إنكم لتأكلون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين، أإنّكم لتأكلون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر" (العنكبوت : 28 – 29) ، أمّا الحديث عن قوم لوط في سورة هود فلم يكن مفصّلا وإنّما ذكر فقط أنّ أعمالهم كانت سيّئة فقال " ومن قبل كانوا يعملون السيّئات " (هود : 78) فلما كان الموطن في سورة العنكبوت لإطالة ذكرت أن بعد " لمّا " مُنَاسِبَة لذلك بخلاف ما جاء في سورة هود .

ومن ناحية أخرى أن لوط عليه السلام كان يترقب الخلاص من قومه في سورة العنكبوت أكثر منه في سورة هود ، ويدل على ذلك قوله عزوجل في سورة العنكبوت " وقالوا لا تخف ولا تحزن إنّا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين " ودعاؤه أيضا من ربّه أن ينصره على قومه بعدما تعجّلوا العذاب قائلين " آتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين " فقال " ربي انصرني على القوم المفسدين " وليس الأمر كذلك في سورة هود فإن قومه لم يصرّحوا بتكذيبه ولم يدع ربّه لنفسه بالنّصر[2] . ولذلك حسن الذكر في سورة العنكبوت دون سورة هود مراعاة لإفاضة والاستطالة والتفصيل وهذا ممن أروع وأدق التعبير القرآني .

---

1) التعبير القرآن ص 98

2) المرجع نفسه. ص 99

3- الإيجاز:

يعرّفه الرّماني فيقول " الإيجاز هو تقليل الكلام من غير إخلال المعنى ، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبّر عنه بألفاظ كثيرة . ويمكن أن يعبّر عنه بألفاظ قليلة. فالألفاظ القليلة إيجاز "[1]

وقد جاء منه كثير في القرآن الكريم يقول الرّماني " وإذا عرفت الإيجاز وتأملت ما جاء في القرآن منه عرفت فضيلته على سائر الكلام ، وهو علوّه على غيره من سائر الكلام ، وعلوه على غيره من أنواع البيان ، والإيجاز تهذيب الكلام بما يحس به البيان والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدّرن ، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من الألفاظ ، والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير "[2]

ومنه الإيجاز شبيه بظاهرة الحذف إلى حدّ ما ، فهو الحفاظ على المعنى بالألفاظ القلية أي تقليل الكلام دون المساس بالمعنى وغالبا ما يكون التقليل بالحذف وإسقاط الألفاظ . لكن الإيجاز يكون بإسقاط عدّة ألفاظ بخلاف الحذف الذي غالبا ما يكون بإسقاط حرف أو حرفين .

ومن أمثلة الإيجاز في الجمل القرآنية المتشابهة قوله تعالى " وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبرا كأن لم يسمعها كأنّ في أذنيه وقرا فبشّره بعذاب أليم"(لقمان:7) وقوله تعالى " ويل لكلّ أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبرا كأن لم يسمعها فبشّره بعذاب أليم "(الجاثية : 7) . فقد جاءت آية الجاثية بإيجاز حيث أسقطت منها قوله " كأنّ في أذنين وقرا" والسبب في ذلك هو تقدّم فيها قوله تعالى " ويل لكلّ أفّاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه" فوصفه بسماع آيات الله لم يكن ليطابقه الحديث عن الوقر في الأذن لأنه قد ذكر سماعه للآيات ، والوقر مانع من السماع فلم يناسب الإعلام بالسّماع والوقر في آن واحد ، وهذا بخلاف آية لقمان التي لم يقع فيها سماع الآيات وتقدّم ذكر المشار إليه بقوله " ومن الناس من يشتر لهو الحديث ليضلّ عن سبيل الله بغير علم ويتّخذها هزوا " (لقمان : 6) ، فناسب هذه الزيادة ذكر

---

1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 70

2) المصدر نفسه ص 74 و أنظر السكاكي " مفتاح العلوم" دار الكتب العلمية بيروت ط 1 (د.ت) ص 120

" كأنّ في أذنيه وقرا " لأنّه لم يرد فيها سماع للآيات كما ورد في الجاثية[1].
ومن الإيجاز أيضا بين الجمل القرآنية المتشابهة قوله عزوجل " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغ المبين" (المائدة : 92) ، وقوله تبارك وتعالى " وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فاعلموا أنّما على رسولنا البلاغ المبين" (التغابن : 12) فجاءت الجملة الثانية بألفاظ يسيرة وقليلة بينما جاءت الجملة الأولى بألفاظ كثيرة على الرغم من وحدة المضمون ، والزيادة التي كانت في الجملة الثانية تتمثل في لفظتين وخما " و احذروا " و " فاعلموا " والسبب في المجيء الثانية بالإيجاز والأولى بالتفصيل هو اختلاف سياقهما ، فبقد سبقت آية المائدة بقوله عزوجل " يا أيّها الذين آمنوا إنّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجز من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلّكم تفلحون ، إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون " (المائدة : 90- 91) ، لما قدّم ذكر المحرمات والأمر باجتناب الخمر والميسر وما تجرّانه من شرور ذكر الآية التي بعدها بنوع من الإطالة لتأكيد التحذير والابتعاد عن المحرّمات ، أمّا آية التغابن فلم يرد قبلها ما يستدعي هذا التّأكيد وهذه الزيادة فجاءت الآية موجزة لأنّها لم تسبق بنهي عن محرم متأكّد التّحريم ، فجاء كلّ على حسب ما يناسبه . الإيجاز مع التقليل والتفصيل معه التكثير[2] .
ومن الإيجاز بين الجمل القرآنية المتشابهة أيضا قوله عزوجل " ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفّر عنه سيّئاته ويدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار " (التغابن : 9) وقوله تبارك وتعالى " ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنّات تجري من تحتها الأنهار"(الطلاق : 11) ، فكما هو ظاهر ، جاءت الجملة بالزيادة في الألفاظ بينما جاءت الجملة الثانية بالإيجاز فقد ذكر في الأولى قوله " يكفّر عنه سيّئاته " بينما أسقطت هذه العبارة من الجمل الثانية والسبب في ذلك أنّه في آية التغابن كان الخطاب مع الكافرين يدعوهم فيهم للإيمان به[3] فقد سبقت بقوله " زعم الذين كفروا أن لم يبعثوا قل بلى وربي لتبعثنّ ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير ، فآمنوا بالله ورسوله والنور

---

1) التعبير القرآني. ص 101

2) التعبير القرآني. ص 100

3) المصدر نفسه. ص 101

الذي أنزلناه والله بما تعملون خبير " (التغابن : 7- 8) ثم قال " ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفّر عنه سيّئاته " أمّا آية الطلاق فالخطاب فيها موجه للمؤمنين يدعوهم فيه للتقوى ، فقد سبقت بقوله تعالى " فاتّقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله لكم ذكرا " (الطلاق : 10) ، ثم أتبعها بقوله " ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنّات ". فكان ذكر تكفير السيّئات مع الكافرين الذين هم أهل المعصيات الدائمة والسيّئات المتواصلة أمر لابد منه ، بينما لا يجوز ذلك مع المؤمنين الذين يعملون الصالحات ، فكان الإيجاز في آية الطلاق بإسقاط قوله " يكفّر عنه سيّئاته" أبلغ مه ذكرها وإلا لتناقص الأمر فكيف للمؤمن والعبد الصالح أن يرتكب السيّئات ؟

ومن مواطن الإيجاز أيضا بين الجمل المتشابهة قوله عزوجل " وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السّماء ومالكم من دون الله من وليّ ولا نصير" (العنكبوت : 22) .وله تبارك وتعالى " وما أنتم بمعجزين في الأرض ومالكم من دون الله من وليّ ولا نصير " (الشورى : 31) .

فقد وردت الآية الأولى بالزيادة بينما جاءت الثانية بالتقليل والإيجاز ، وذلك أن الحديث في آية العنكبوت كان عن تكذيب الأمم برسلها بدءا من نوح إلى إبراهيم إلى لوط إلى شعيب وغيرهم وما حاق بهذه الأمم من تعذيب وعقوبات فقال عزوجل " وإن تكذّبوا فقد كذّب أمم من قبلكم وما على الرّسول إلا البلاغ المبين " (العنكبوت : 18) ، ثم قال " والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم " (العنكبوت : 23) ، بخلاف آية الشورى فلقد جاءت في سياق ما يصيب الإنسان من مصائب في هذه الدنيا . فقال " وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير " (الشورى : 30) ، فلمّا كان الكلام في العنكبوت عن تكذيب الأنبياء ومحاربتهم وعقاب الله لهم كان واجبا أن يطيل القول ويزيد لهم في التّحدي ويخبرهم أنهم ضعفاء حتى ولو بلغوا السّماء ولمّا كان الحديث في الشورى عن مصائب الإنسان في الأرض كان لابدّ من الإيجاز[1] .

ومثل هذا الإيجاز أيضا نجده في قوله عزوجل " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها"(الحديد22) وقوله عزوجل " ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه"(التغابن 11) . فلقد وردت الجملة الأولى بالإكثارفي الألفاظ وزيادة هي قوله" في الأرض ولا في أنفسكما" بينما جاءت الجملة الثانية بإيجاز وتقليل في الألفاظ

---

1) التعبير القرآني. ص 103

. ولعلّ السبب في هذا الإيجاز هو أنّ الكلام الذي سبق هذه الجملة كان مجملا ومختصرا يتحدّث عن مصير الذين كفروا فقال " والذين كفروا وكذّبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير " (التغابن : 10) . ومن منّا لا يعرف هذا المصير ؟ جهنّم – والعياذ بالله – وهذا يكون في اليوم الآخر لهذا أجاز في هذه الجملة وأسقط قوله " في الأرض ولا في أنفسكم" لمّا ابتعد عن ذكر أهل الدنيا واكتفى بذكر أحوال الآخرة ، فلم يزد هذه العبارة التي زيدت في آية الحديد وذلك لأنّه فصل في سورة الحديد في أحول الدنيا والآخرة حين قال تبارك وتعالى " اعلموا أنّما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرّا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور " (الحديد : 20- 21)

ونحن نرى كيف أنّه فصّل وتحدّث طويلا عن أحوال أهل الدنيا وأحوال الآخرة في سورة الحديد بخلاف سورة التغابن التي أجاز فيها واختصر فيها ولم يذكرهم طويلا ، لذلك فإنه أطال فيما فصّل وذكر ، وأجاز وأنقص فيما قلّل ويسّر الحديث ، وهكذا كل موافق لما قبله فيكون الكلام في غاية الدّقة .

ومن بديع الإيجاز كذلك قوله عزوجل " ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوّ نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح أن الله لا يضيّع أجر المحسنين " (التوبة120)،وقوله تبارك وتعالى في نفس السورة"ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون"(التوبة121).نلاحظ أن الجملة الثانية من سورة التوبة كانت بألفاظ أقل من الجملة الأولى حيث قال في الثانية " إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون" وقال في الأولى"إلا كتب بهم عمل صالح أن الله لا يضيع أجر المحسنين"بزيادة"به عمل صالح"ويرجع السبب في مجيء الجملة الثانية بالإيجاز لأن الأعمال المذكورة فيها من نفقات وقطع الوديان هي أعمال لهم كانوا يقومون بها أمّا الجملة الأولى فلقد جاءت بتلك الزيادة لأن فيها ما ليس عملا لهم كالظمأ والنصب والمخمصة فهذه ليست من أعمالهم غير أنها تكتب لهم أعمالا صالحة[1] وما دلّ على ذلك خواتم الآيتين حيث انتهت الأولى بقوله " إن الله لا يضيع أجر المحسنين" وانتهت الثانية بقوله " ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون" لأنّ ما تقدّم في الآية الأولى ليس عملا وإنّما هو من

---

1) التعبير القرآني ص 110

الإحسان الذي تدخل فيه عموم العبادات والله عزوجل بفضله أجرى ذلك مجرى عملهم في الثواب فقال " إلاّ كتب به عمل صالح" أي جزاء عمل صالح . ولأنّ ما تقدم في الآية الثانية اشتمل على ما هو من عملهم وهو إنفاق المال في طاعة الله وتحمل المشاق فكتب لهم ذلك بعينه . ومن لطيف الإيجاز كذلك قوله عزوجل " وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون "(التوبة : 94) ، وقوله تبارك وتعالى أيضا في نفس السورة " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون " (التوبة : 105) .

فنلاحظ أن الآية الأولى وردت بألفاظ أقل من الآية الثانية والتي وردت بزيادة قوله " والمؤمنون " والسبب في ذلك أن سياق الآية الأولى يختلف عن سياق الآية الثانية ، وذلك أن الآية الأولى كان الحديث فيها عن المنافقين وهم لا يعلم المؤمنون بهم لأنهم يُبطنون الكفر ويظهرون الإيمان إلا من أطلعه رسول الله [1] . فلم يقل " والمؤمنون" لأن المؤمنون لا يرون أعمال المنافقين وقد ذكرهم الله عز وجل فقال " يعتذرون إليكم إذا رجعتم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبّأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون " التوبة : 93-94) ، وهذا بخلاف الآية الثانية فقد كان الحديث فيها عن المؤمنين وطاعة المؤمنين وأعمالهم الصالحة ظاهرة لله ورسوله ولإخوانهم المؤمنين وقد ذكرهم الله فقال" خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكيهم بها ، وصلّ عليهم إنّ صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ، ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ، ويأخذ الصدقات أنّ الله هو التواب الرّحيم ،" وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون "(التوبة : 103- 105).

---

1) التعبير القرآني ص 110

4- **التكرار**:

ويقول عنه الخطابيّ " ت 388هـ " في كتابه بيان إعجاز القرآن " التكرار على ضربين : أحدهما مذموم وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأوّل لأنّه حينئذ يكون فضلا من القول ولغوا . وليس في القرآن شيء من هذا النوع ، أمّا الضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصّفة فإنّ ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه، وتدعو الحاجة إليه فيه بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار ، وإنّما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمّة التي قد تعظم العناية بها ، ويخلف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها[1] .

وظاهرة التكرار غالبا ما نجدها في القصص القرآني ، فالقصّة الواحدة يتعدّد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع ، لكن تعرض في صور مختلفة في التقديم والتأخير والإيجاز والإطناب وما شابه ذلك ، فينجم بذلك جملا قرآنية متشابهة في اللفظ والمعنى مع بعض الاختلافات البسيطة حسب السياقات الواردة فيها ، ومن الحكمة في تكرار القصص القرآني ما يلي :

1- بيان بلاغة القرآن في أعلى مراتبها ، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز مع الآخر وتتجدّد معان لا تحصل في المواضع الأخرى .

2- قوة الإعجاز : فإيراد المعنى الواحد في صور متعدّدة مع عجز العرب عن الإتيان بصور منها أبلغ في التحدي .

3- الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها عبر النفس ، فالتكرار طريقة من طرق التأكيد والاهتمام .

4- اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة ، فتذكر بعض معانيها الوافية في موضع وتبرز معان أخرى في موضع آخر[2] .

وحتى يتضح لنا هذا الأمر جليّا نذكر أمثلة على ذلك في اختيار جزء من القصص القرآني نحو قوله تعالى " وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له

---

1) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص 48

2) مباحث في علوم القرآن ص 308

ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع السّاجدين قال يا إبليس مالك ألا تكون مع السّاجدين ، قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون ، قال فاخرج منها فإنّك رجيم وإنّ عليك اللّعنة إلى يوم الدّين ، قال ربي فانظرني إلى يوم يبعثون ، قال فإنّك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم ، قال ربي بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ، قال هذا صراط عليّ مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبك من الغاوين ، وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين" (الحجر : 28 – 43)

ونفس القصّة أعادها الله عزوجل في سورة "ص" فقال تعالى " إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين ، فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلاّ إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ، قال فاخرج منها فإنّك رجيم ، وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدّين ، قال ربي فانظرني إلى يوم يبعثون ، قال فإنّك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم ، قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ، قال فالحق والحق لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين"(ص : 71 – 85)

فالقصّة واحدة وهي خلق آدم عليه السلام وقد عالجت كل من صور الحجر وسورة ص جانبا منها وهو معصية إبليس لله وعداوته للإنسان وكأنّ الغرض من ذكر القصة في هاتين السورتين هو تحذير الإنسان من عداوة إبليس الأبدية .

وبما أنّ الجانب المذكور من قصة آدم في السورتين واحد، فقد ناسب هذا تكرار الكثير من الألفاظ والعبارات دون زيادة أو نقصان أو تغيير، نذكر على سبيل المثال قوله " وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا " وقوله " فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " وقوله " فسجد الملائكة كلّم " و " قال ربي فانظرني إلى يوم يبعثون و" إلا عبادك منهم المخلصين " فكلّ هذه التعابير وردت في سورة الحجر وسورة ص كما هي مطابقة لبعضها البعض وهذا لتأكيد الترهيب والتحذير من عداوة إبليس وتثبيت قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وقلب الأمّة المحمّدية على دين الله وتقوية ثقة المؤمنين بنصرة الحق ، وخذلان الباطل وأهله[1] لقوله عزوجل " وكلاً نقص

1) مباحث في علوم القرآن 307

عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى لمؤمنين"(هود: 120)

لكن على الرغم من هذا التطابق وهذا التكرار غير أنّ هناك اختلافات بينهما تتناسب وسياق كل سورة ، ومن ذلك قوله عزوجل في سورة الحجر " وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون" وقوله في سورة ص "إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين "، فنحن نلاحظ أنّه قال في آية الحجر أنه خلق الإنسان من صلصال ، وفي آية ص ذكر أنه خلقه من طين ، والصلصال هو الطين الذي يترك حتى ييبس فإذا يبس فهو صلصال والحمأ الطين إذا اسودّ وكرهت رائحته ومسنون هو الذي طالت مدّة مكثه ، والمقصود من ذكر هذه الأشياء هو التنبيه على عجيب صنع الله تعالى إذا أخرج من هذه الحالة المهينة نوعا هو سيد أنواع عالم المادة ذات الحياة ألا وهو الإنسان ، وقد ذكر الله لملائكته المادّة التي خلق البشر منها ليعلموا أن شرف الموجودات بمزاياها لا بمادة تركيبها[1] .

أمّا السبب في مجيء آية الحجر بقوله"خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون " وآية ص بقوله " خالق بشر من طين " هو أنّ آية الحجر قد سبقت بقوله تعالى " ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون " فكان من المناسب أن ترد هذه العبارة في صلب القصة أيضا، لكي لا يقع اللبس بينما لم تسبق آية ص بآية قبلها في هذا الموضوع . فذكر مرة الصلصال ومرة الطين فيكون بذلك وضع كل كلمة في مكانها المناسب تماما حتى وإن كانت معناهما واحد[2] .

ومن الاختلافات قوله عزوجل في آية الحجر " إلا إبليس أبى أن يكون من السّاجدين " وقوله تبارك وتعالى في ص" إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين " ، والسبب في مجيء الآية الأولى بكلمة أبى والآية الثانية بكلمة استكبر هو أنّ بناء قصة الحجر تختلف في سياقها مع قصة "ص" فالقصة في سورة الحجر مبنية على الامتناع والإباء والرفض لذلك قال أبى بمعنى رفض وامتنع ، بينما بنيت القصة في "ص" على العلوّ والاستكبار لذلك قال استكبر بمعنى ترفع عن متابعة غيره ورأى نفسه خيرا من الآخرين ، والدليل على ذلك أمور عديدة منها :

---

1) التحرير و التنوير 44/14

2) التعبير القرآني ص270

أنه لمّا قال في "ص" استكبر كان سؤال ربّ العزّة له "استكبرت أم كنت من العالين ؟" وهذا هو المناسب للاستكبار وقد أكد ذلك ردّ إبليس حين قال " أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين " وهو تكبّر واضح بينما لم يرد ذلك في سورة الحجر فقد كان سؤال الله عزوجل " مالك ألا تكون مع الساجدين " وهذا مناسب للرفض والامتناع فكان ردّ إبليس " لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون " وهذا يتناسب مع كلمة أبى لأنّ هذا الردّ يدلّ على الرفض والامتناع فوضع كل تعبير في المكان الذي هو أليق به وهذا من التناسق الجميل في التّعبير[1] .

وهناك اختلاف وارد بين السورتين قوله عزوجل في الحجر " وإنّ عليك اللعنة إلى يوم الدين " وقوله في ص " وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين " ، والسبب في ذلك أنه لمّا قال في ص " قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي " فأضاف الخلق إلى يديه العليتين قال " عليك لعنتي " فأضاف اللعنة إلى نفسه ، فلما نسب الخلق أتبعه بنسب اللعنة إليه ليكون التعبير أدق ولما لم يذكر ذلك في الحجر قال اللعنة لأنه لمّا سأل إبليس عن عدم السّجود قال له " ما لك ألا تكون مع الساجدين " ولما لم يذكر الخلق لم يضف لنفسه اللعنة ، فكان الحذف مع الإجمال والزيادة مع التفصيل .

لعلّ قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون من أهم القصص القرآني ، لأنّها تمثّل الصراع بين الحق والباطل أهم تمثيل ، لهذا كان لابد من تكرارها في عدّة مواطن من القرآن الكريم[2] . وسنختار جوانب منها ومن مواقفها في موضعين من سورة الأعراف وسورة الشعراء .

قال تعالى في سورة الأعراف " ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إنّي رسول من رب العالمين ، حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببيّنة من ربّكم فارسل معي بني إسرائيل ، قال أنت جئت بآية فائت بها إن كنت من الصّادقين ،وألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ، وقال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عظيم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون،قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين،يأتوك بكلّ ساحر عليم ، وجاء السحرة فرعون قالوا إنّا لنا

---

1) التعبير القرآني ص 271

2) مباحث في علوم القرآن 306

لأجرا إن كنّا نحن الغالبين ، قال نعم وإنكم لمن المقربين ، قالوا يا موسى إمّا أن تلقي وإمّا أن نكون نحن الملقين ، قال ألقوا ، فلمّا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم و جاؤا بسحر عظيم،وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين،وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون"(الأعراف:103–122)

وقال تعالى في الشعراء " قال فرعون وما ربّ العالمين ، قال ربّ السموات والأرض ومنا بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تسمعون ، قال ربّكم وربّ آبائكم الأوّلين

قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال ربّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ، قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنّك من المسجونين ، قال أولو جئتك بشيء مبين ، قال فائت به إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ، ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين ، قال للملأ من حوله إن هذا لساحر عظيم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ، قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين ، يأتوك بكلّ سحّار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ، وقيل للنّاس هل أنتم مجتمعون لعلّنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين ، فلمّا جاء السحرة قالوا لفرعون أإنّ لنا لأجرا إن كنّا نحن الغالبين ، قال نعم وإنكم إذن لمن المقربين ، قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ، فألقوا حبالهم وعصيّهم وقالوا بعزّة فرعون إنّا نحن الغالبون .

فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون ، فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين،رب موسى وهارون"(الشعراء:23–48).

فالمضمون واحد وهو قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون لكن الأحداث تختلف من سورة إلى أخرى فالأحداث في سورة الأعراف هو تاريخ بني إسرائيل مع مجيء موسى إلى فرعون إلى ما بعد ذلك بينما في سورة الشعراء ذكرت قصة موسى مع فرعون بالتفصيل إلى غرق فرعون وقومه .

لكن مع ذلك فإنّ ما جاء في سورة الشعراء هو جانب مما في الأعراف . وقد ناسب هذا تكرار العديد من التعابير دون تغيير . نذكر على سبيل المثال قوله عزوجل " وألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين " وقوله " ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين " وقوله " يأتوك بكلّ سحّار عليم " وقوله تعالى" وألقي السّحرة ساجدين " وقوله " قالوا آمنّا بربّ العالمين ربّ موسى و ها رون

" فجميع هذه التعابير وردت في السورتين معا كما هي ، لأنّ من أبرز الأحداث التي وقعت للنبي موسى عليه السلام فكان الاهتمام بها أمرا لابدّ منه لتمكين عبرها في النفس.

لكن مع هذا ، فهناك اختلافات واردة بين القصتين مما أدى إلى وجود اختلافات في التعبير أيضا كل حسب السياق الذي وضع فيه فقصة موسى عليه السلام في سورة الشعراء تتسم بالتفصيل في سرد الأحداث و قوة المواجهة و التحدي . بينما بنيت القصة نفسها في الأعراف على الاختصار و قلة المواجهة و التحدي و من هذه الاختلافات قوله غز وجل في الأعراف " قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم . يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون ".

و قال في الشعراء " قال للملأ إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون " .

فالذي قال " إن هذا لساحر مبين " في سورة الأعراف هم ملأ فرعون . في حين الذي قال هذه العبارة في سورة الشعراء هو فرعون نفسه . ففي الآية الأولى كان فرعون في موضع غطرسة الملك و الترفع عن الكلام بخلاف انقطاعه أمام موسى أنساه غطرسته و ترفعه إلى أن يتكلم هو و يستعين بملئه . وزيادة كلمة (بسحره) في آية الشعراء ناسب مقام التفصيل و الإطالة و أكد على أن السحر فيها [1] .

و من الاختلافات أيضا قوله في الأعراف " قالوا أرجه و أخاه و أرسل في المدين حاشرين" و قوله في الشعراء " قالوا ألاجه و أخاه و ابعث في مدين حاشرين " .

فقال في الآية الأولى (وأرسل) و قال في الشعراء (وابعث) وذلك لكثرة تردد فعل الإرسال في الأعراف . بخلاف آية الشعراء . فقد ورد فعل الإرسال و مشتقاته ثلاثين مرة في الأعراف و تردد هذا الفعل في الشعراء سبع عشرة مرة.فناسب ذكر الإرسال في الأعراف دون الشعراء .

و من ناحية أخرى أن المقام في الشعراء يقتضي ذكر الفعل (ابعث) دون (أرسل) . وذلك لأن البعث فيه معنى الإثارة و الإنهاض و التهييج و مقام

---

1) التعبير القرآني ص 292

الشعراء فيه قوة في التحدي و هذا بخلاف ما جاء في الأعراف من قلة المواجهة فاقتضى كل مقام اللفظة التي وردت فيه[1] .

ومن الاختلافات الواردة أيضا قوله تعالى في سورة الأعراف" يأتوك بكل ساحر عليم"و قال في الشعراء" يأتوك بكل سحار عليم" . فقد جاء في الأعراف بصيغة اسم فاعل (ساحر) و جاء في الشعراء بصيغة المبالغة (سحار) . وهذه الصيغة تتناسب مع المبالغة في قوة التحدي و شدة المواجهة بين فرعون و موسى و تتناسب مع غضب فرعون أيضا و اندفاعه للنيل من موسى عليه السلام . فهم أرادوا سحارا بليغا في السحر و هذا مقام يتناسب مع التأكيد على السحر .فلقد تكرر السحر في الشعراء أكثر منه في الأعراف . إذ ذكره في الشعراء عشر مرات بينما في الأعراف ذكر سبع مرات . فاقتضى كل مقام اللفظة التي استعملت فيه[2] .

وقد زاد في الشعراء قوله تبارك و تعالى " فجمع السحرة لميقات يوم معلوم . وقيل للناس هل أنتم مجتمعون ؟ لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين " و هذا مناسب أيضا لمقام التأكيد على السحر.

و من مواطن الاختلاف أيضا بين السورتين قوله عز وجل في الأعراف"و جاء السحرة فرعون قالوا إن لنا أجرا إن كنا نحن الغالبين.قال نعم و إنكم لمن المقربين ".

و قال في الشعراء " فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أ إن لنا لأجر إن كنا نحن الغالبين . قال نعم و إنكم إذن لمن المقربين " .

فذكر في الشعراء أنهم قالوا لفرعون بخلاف آية الأعراف و السبب في أنه في الأعراف ملأ فرعون هم الذين قالوا إن هذا الساحر عليم . بينما في الشعراء .فرعون هو الذي قال ذلك و تولى مهمة بنفسه . فناسب ذلك أن يواجهوه بالقول في الشعراء بخلاف في الأعراف .

و من ناحية أخرى فقد قال في الأعراف " قالوا إن لنا لأجر إن كنا نحن الغالبين " و قال في الشعراء " قالوا لفرعون أ إن لنا لأجر إن كنا نحن الغالبين "

---

1) التعبير القرآني ص 293

2) المرجع نفسه ص 293

فقد جاء الاستفهام في الأعراف بحذف همزة الاستفهام بينما ذكرت في الشعراء و ذلك أنه لما كان المقام للإطالة و المبالغة في المحاجة جيء بهمزة الاستفهام لتشرك في الدلالة على قوة الاستفهام و التصريح به[1] .

1) التعبير القرآني ص 294

5- الحشد الفني في الجمل القرآنية المتشابهة:

قد تكون للسياق الذي ترد فيه الجملة القرآنية المتشابهة سمة التعبيرية خاصة به فتردد الألفاظ معنية هنا و هناك بحسب تلك السمة . لذا نراه لا يكرر الجملة القرآنية كما ذكرت من قبل . بل نراه يذكر في موطن ما يطوى ذكره في موطن آخر ، و يفضل في موطن ما يوجز في موطن آخر ، و يقدم في موطن ما يؤخره في موطن آخر . بل يغير أحيانا في التعبيرات و نظم الكلام تغيرا لا يخل بالمعنى و كل ذلك بحسب ما يقتضيه السياق و يتطلبه المقام و ذلك في حشد فني عظيم [1]

و ليست هذه السياقات التي تحتويها الجمل القرآنية المتشابهة وحدها موضع الحشد الفني ، بل إن القرآن الكريم كله حشد فني في غاية الدقة و الجمال . غير أنه لا بد في هذا المقام من اختيار الآيات المتشابهة فقط لإيضاح ما ندعيه .

و من ذلك قوله عز و جل :" إن تبدو خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا " (النساء 149) وقال تعالى أيضا " إن تبدوا شيئا خيرا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما " (الأحزاب54). فالجملتان تتشابهان في التركيبة . ما عدى ذكر (إن تبدو خيرا) في الجملة الأولى و ذكر (إن تبدوا شيئا) في الجملة الثانية و هذا الاختلاف أمر مقصود قائم على أعلى درجات الفن و البلاغة . فلو تأملت قليلا لوجدت أن الجو التعبيري لكل سورة من هاتين السورتين يقتضي و ضع كل لفظة في موضعها . ذلك أن كلمة (خير) ترددت في سورة النساء اثني عشر مرة . في قوله " فعسى أن تكرهوا شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا"(النساء 19).

وقوله"و أن تصبروا خيرا لكم و الله غفور رحيم"(النساء 25)

وقوله"ولو أنهم قالوا سمعنا و أطعنا و اسمع و انظرنا لكان خيرا لهم و أقوم".(النساء 46)

و قوله " إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و احسن تأويلا" (النساء 59)

و قوله " ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم و أشد تثبيتا " (النساء 66).

---

1) التعبير القرآني ص 224

و قوله " قل متاع الدنيا قليل . والآخرة خير لمن اتقى و لا تظلمون فتيلا " (النساء 77).
وقوله تعالى "لا خير في كثير من نحواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس "(النساء 114).
وقوله تعالى " و ما تفعلوا من خيرا فإن الله كان به عليما "(النساء 127).
و قوله عز وجل : و الصلح خير"(النساء 128)
وقوله " إن تبدوا خيرا أو تخفوه " النساء 149 وقوله أيضا " فآمنوا خيرا لكم" (النساء 170)
وقوله " انتهوا خيرا لكم "(النساء 171) .
بينما ترد في سورة الأحزاب إلا مرتن في قوله " فإذ ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير " الأحزاب 19 وقوله " وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا " الأحزاب 25 .
و من ناحية أخرى فقد جاءت آية النساء بعد قوله عز وجل " لا يحب الله الجهر بالسوء" فذكر أن الله لا يحب الجهر بالسوء ولذا قال بعدها " إن تبدوا خيرا أو تخفوه " أي تظهروا خيرا و هو عكس الجهر بالسوء ، لأن الله عز وجل لا يحب السوء ولا جهر به بخلاف الخير و الجهر به . أما في آية الأحزاب فسياق يتعلق بعلم الله بالأشياء الخفية و الظاهرة فقد قال قبلها " و كان الله على كل شيء رقيب" الأحزاب 52 . وختم الآية بقوله " إن الله كان بكل شيء عليم " و معنى ذلك أنه يستوي عنده السر و الجهر فناسب أن يقول كلمة "شيء" بدلا من كلمة "خير". فإذا كان التعبير واحد و السياق مختلف فإنه حتما سيختار إحدى اللفظتين لكل آية . ومن الواضح أن تكون كلمة "خير" لآية النساء و كلمة "شيء" لآية الأحزاب.
- ومن أمثلة هذا الحشد الفني قوله عز وجل " فقد كذبوا بالحق لمّا جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون" الشعراء 6.
و كما نلاحظ فلقد وردت كلمة " الحق" في آية الأنعام بينما لم ترد في آية الشعراء. و السبب في ذلك أن الله عز وجل قد راعى في آية الأنعام الجانب اللفظي لبناء هذه السورة علاوة على جانب المعنوي . لأن كلمة " الحق" ترددت في سورة الأنعام كلها اثني عشرة مرة [1] . وفي قوله تعالى " فبقد كذبوا بالحق لمّا جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون" الأنعام5 وقوله " ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق ، قالوا بلى و ربنا

---

1) التعبير القرآني ص 227

" الأنعام 30 و قوله " إن الحكم إلا لله يقص الحق و هو خير الفاصلين" الأنعام 57 و قوله " ثم ردوا إلى الجنة مولاهم الحق ألا له الحكم و هو أسرع الحاسبين" الأنعام 62 . وقوله " وكذب به قومك و هو الحق قل لست عليكم بوكيل" الأنعام 64 وقوله " وهو الذي خلق السّموات و الأرض بالحق و يوم يول كن فيكون" الأنعام73 وقول" اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون" الأنعام 93 و قوله " و الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين" الأنعام114 و قوله " كلوا من ثمره إذا أثمر و آتوا حقه يوم حضاده ، ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين " الأنعام 141. وقوله " ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون" الأنعام 151 . وقوله " فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون" الأنعام 81 وقوله" وما قدروا الله حق قدره " الأنعام 91.

أما سورة الشعراء فلم نرد هذه الكلمة . فوضع كل لفظة في مكان الذي يليق بها فإذا ذكر فصل وزاد من الألفاظ و المعاني و إذا أخلى اختصر و أجمل .

وغير هذا من الحشر ألفي كثير من الجمل المتشابهة.و من أروعها قوله عزز وجل " فقد كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و ثمود و قوم إبراهيم و قوم لوط" الحج 43 . وقواه تعالى " كذبت قبلهم قوم بوح و أصحاب الرّس وثمود.وعاد وفرعون وإخوان لوط"ق 13.ترى كيف أنه تعالى قال في آية الحج (قوم لوطئ و في آية (ق) (لإخوان لوط) فهل هي المصادفة أم هو القصد و الإعجاز ؟.

إن كل ما جاء في القرآن (قوم لوط) إلا في سورة(ق) فقد جاءت(إخوان لوط).و السبب في ذلك أن السور التي تبدأ بالحروف . فإنها تتكرر فيها هذه الحروف بمقدار مضاعفات العدد تسعة عشر، شأنها شأن"بسم الله الرحمن الرحيم"و التي عدد حروفها تسعة عشر و تكرّر كل كلمة منها في القرآن الكريم تسعة عشر مرةأو ماهو مضاعف التسع عشر[1].

فقد تكر الحرف(ق)في سورة(ق) سبع و خمسين مرّة ، وهذا العدد من مضاعفات العدد تسعة عشر.لذلك تفادي زيادة قاف أخرى و استعمال كلمة (إخوان) بدل عن (قوم) .لأن الإحصاء يأبى ذلك . فلو زيدت قاف أخرى يصبح عدد القافات ثمانية و خمسون قافا . و هذا العدد ليس من مضاعفات

---

1) للتعبير القرآني ص 12

العدد تسعة عشر. والألفاظ لم توضع في القرآن الكريم عبثا بل هي موضوعة وضعا دقيقا بحساب دقيق[1].

وقريب من هذا المثال قوله عز وجل " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا و هدى للعالمين. فيه آيات بينات مقام إبراهيم ز من دخله كان أمنا"أل عمران 96.

وقال عز وجل "و هو الذي كف أيديهم عنكم و أيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم و كان الله بماتعملون بصيرا"الفتح 24

فاستعمال لفظ (بكة) بالباء في آية آل عمران . و استعمل لفظ (مكة) بالميم في آية الفتح . و السبب في ذلك أن آية آل عمران . جاء بعدها قوله " و لله على الناس حج البيت" فجاء الإسم(بكة) من (البكّ) وهو الازدحام . لأنه في الحج الناس يبك بعضهم البعض أي يتزاحمون فيه .

أما السبب الآخر في مجيء الكلمة (الباء) في آل عمران فهو مراعاة لتكرير الحرف (ميم).إذ لو وردت الكلمة بالميم لاختل الإحصاء في سورة لأن مجموع مكررات حروف (الم) التي افتتحت بها هذه السورة هي خمسة آلاف و ستمائة و اثنان و ستون مرة وهي من مضاعفات العدد تسعة عشر. فلو جاء الإسم بالميم لاختل الإحصاء فيها[2]

ومن بديع هذا الحشد الفني كذلك قوله عز وجل " أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون" الروم 37 .

و قوله تعالى " أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون" الزمر 52.

فقد قال في آية الروم " أولم يروا" و في آية الزمر " أولم يعلموا" وذلك أن ألفاظ الرؤية و النظر في سورة الروم أكثر مما في سورة الزمر . وألفاظ العلم في الزمر أكثر مما في سورة الروم. فلقد وردت ألفاظ الرؤية في الروم سبع مرات[3] في قوله " أولم يسيرو في الأرض فانظر كيف كانت عاقبة الذين من قبلهم " الروم 9. و قوله " و من آياته يوريكم البرق خوفا و طمعا " الروم 24. و قوله " أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون" الروم 37 . وقوله " قل سيروا في الأرض فانظر

---

1) التعبير القرآني. ص 13

2) المرجع نفسه. ص 156

3) ا المرجع نفسه ص 161

كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركون" الروم 42. وقوله " الله الذي يرسل الرياح سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء و يجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله " الروم 48. وقوله " فأنظر إلى رحمة الله كيف يحي الأرض بعد موتها " الروم 50.و قوله " ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون" الروم 51.

أما في سورة الزمر فلقد وردت ألفاظ الرؤية ز النظر ست مرات هي قوله تعالى " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض " الزمر 21. وقوله " قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله " الزمر 38. وقوله " أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين" الزمر 58. وقوله " ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة . أليس في جهنم مثوى للمتكبرين" الزمر 60 و قوله " ثم نفخ فيه مرة أخرى فإذا هم قيام ينظرون" الزمر 68 و قوله " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم . وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين " الزمر 75.

ولما كانت الرؤية في الروم أكثر منها في الزمر اقتضى الأمر استعمالها كذلك في قوله " أولم يروا" واستحقت الزمر إلى لفظ العلم فقال " أولم يعلموا" .

ولننظر إلى فنيات التعبير القرآني . فقد جاء بفاقدي البصر في سورة الروم بمّا أكثر من ألفاظ النظر[1] و الرؤية فقال " وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم" الروم 52 . وجاء بفاقدي العلم في سورة الزمر لما أكثر من ألفاظ العلم فقال " قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون" الزمر 64. و من ذلك أيضا قوله عز وجل " فلا تعجبك أموالهم و لا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم و هم كافرون"التوبة 55.

وقوله عز وجل " ولا تعجبك أموالهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا و تزهق أنفسهم و هم كافرون " التوبة 85. وردت بين هاتين الجملتين عدّة فروق تعبيرية نذكر منها : لقد جاء في كلمي الجملة الأولى قوله " أموالهم و أولادهم" و في الثانية قال " أموالهم و أولادهم ".و ذكر في الأولى " ليعذبهم "و ذكر في الآية الثانية " أن يعذبهم" و قال في الأولى" في الحياة الدنيا" و قال في الثانية " في الدنيا". و السبب في هذه الزيادات هو أن سياق الجملة الأولى كان عن انفاق الأموال ة مخاطبة المنافقين .قال تعالى " قل انفقوا

---

1) التعبير القرآني ص 161

طوعا أو كرها لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوما فاسقين . وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله و برسوله ولا يأتون الصلاة إلا و هم كسالى و لا ينفقون إلا و هم كارهون " التوبة 53-34.

فالسياق كما نلاحظ كله في انفاق الأموال و الكلام على المنافقين و أموالهم ثم وجه الخطاب للرسول صلى الله عليه و سلم قائلا " فلا تعجبك أموالهم و لا أولادهم" فزاد (لا) النافية توكيدا " أموالهم ولا أولادهم" و زاد اللام في " ليعذبهم" لزيادة الاختصاص و توكيده.

بينما السياق يختلف في الآية الثانية لقوله تعالى " فإن رجعك الله إلى طائفة منهم ، فاستأذنوا للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا و لن تقاتلوا معي عدوا . إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين . ولا تصل على أحد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره إنهم كفروا بالله و رسوله وماتوا و هم فاسقون ...ولا تعجبك أموالهم و أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها " التوبة 83-85.

فلما طال الكلام على الإنفاق و الأموال في الآيات الأولى زاد الكلام في هذه الآية دون الأخرى ، فقد زاد (لا) و (اللام) و (الحياة) فلما كان المال منبع الرفاهية و السعادة زاد كلمة (الحياة) بخلاف الآية الأخرى فقد كان سياقها عن الجهاد و القتل و القتال و الجهاد فيه القتل و القتل يفقد الحياة لذلك استغنى عنها في الآية الثانية[1] . ولننظر إلى علو هذا الكلام و رفعته . فلما ذكر المال ذكر الحياة و لما ذكر الحرب استغنى عن الحياة لأن الأول يجلبها و الثاني يفقدها .

و من أمثلة هذا الحشد الفني الرائع أيضا قوله عز وجل " فأصابهم سيئات ما عملوا" النحل 43 .

وقوله " وبدا لهم سيئات ما عملوا" الجاثية 33

وقوله"و بدا لهم سيئات ما كسبوا"الزمر 48

فما نلاحظه أنه استعمل لفظ (العمل) في النحل و الجاثية.ولفظ (الكسب) في الزمر.

و السبب في ذلك أنه في سورتي النحل و الجاثية وقعت الآية بين ألفاظ العمل . فقد جاء في النحل قوله تعالى " ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون "النحل 28.

و قوله أيضا"وتوفى كل نفس ما عملت" النحل 111.

---

1) التعبير القرآني ص 237

و جاء في الجاثية قوله " اليوم تجزون ما كنتم تعملون " الجاثية 29 . وقوله أيضا "إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون" الجاثية 29 و قوله"فأما الذين أمنوا و عملوا الصالحات"الجاثية 30 . أما لفظ (الكسب) فقد وقع في الزمر أكثر منه في الجاثية و النحل . أي سورة الزمر هي أكثر سورة ترددت فيها لفظة الكسب من هذه السور الثلاثة[1] . فقد ترددت في هذه اللفظة خمس مرات في قوله عز وجل " وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون" الزمر 24. وقوله" و بدا لهم سيئات ما كسبوا " الزمر 48 و قوله " فما أغنى عنه و ما يكسبون" الزمر 50.وقوله"فأصابهم سيئات ما كسبواو الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا و ما هم بمعجزين" الزمر 51 .

ووردت لفظة (الكسب) في الجاثية ثلاث مرات في قوله" من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبواشيئا"الجاثية10.وقوله"ليجزي قوما بما كانوا يكسبون" الجاثية 14 . وقوله "ولتجزي كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون" الجاثية22 .

في حين لم ترد هذه اللفظة في سورة النحل البتة.فوضع لفظة في مكانها حسب الجو الخاص لتلك السورة التي وضعت فيها و حسب السمة التعبيرية التي تتسم بها كل سورة[2] .

و من ذلك أيضا قوله عز وجل " فلما أتاها نودي يا موسى" طه 11.

وقوله " فلما جاءها نودي أن بورك من في النار و من حولها " النمل8.

فنلاحظ أنه لفظ (الإتيان) في سورة طه و اختار لفظ (المجيء) في سورة النمل. و السبب في هذا أن لفظ (الإتيان) في طه أكثر منه في النمل . ولفظ(المجيء) في النمل أكثر في طه[3] . فقد ورد لفظ الإتيان في طه خمس عشر مرة . في قوله عز وجل " وهل أتاك حديث موسى"طه 9.

وقوله " لعلي آتيكم منها بقبس " طه 10 . وقوله " فلما أتاها نودي يا موسى" طه 11 و قوله " إن الساعة آتية" طه 15. وقوله " قال قد أوتيت سؤلك يا موسى " طه 36.وقوله " فأتياه فقولا إنا رسولا ربك " طه 47 .و قوله " فلنأتينك بسحر مثله" طه 58 وقوله " فجمع كيده ، ثم أتى " طه 60 و قوله " فاجتمعوا كيدهم ثم إيتوا صفا" طه 64 . وقوله " ولا يفلح الساحر حيث

---

1) التعبير القرآني ص 212

2) التعبير القرآني ص 213

3) المصدر نفسه ص 213

آتى" طه 69.و قوله " إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم: وقوله " و من يأته مؤمنا قد عمل الصالحات" طه 75 . وقوله " وقد آتيناك من لدنا ذكرا " طه 99. وقوله " فإما يأتينكم مني هذى " طه 123 وقوله " قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها" طه 126 . وقوله " وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ، أولم تأتيهم بينة ما في الصحف الأولى" طه 133.

أما في سورة النمل فلقد وردت لفظة الإتيان ثلاث عشرة مرة في قوله" الذين يقيمون الصلاة و يأتون الزكاة " النمل 3 . وقوله "إني أنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس " النمل 7 و قوله : ولقد آتينا داود وسليمان علما " النمل 15 . وقوله" وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين" النمل 16. وقوله " حتى إذا أتوا على واد النمل " النمل 18 . وقوله "أوليأتيني بسلطان مبين" النمل 21. وقوله " و أتيت من كل شيء ولها عرش عظيم" النمل 23. وقوله " ألا تعلوا علي و أتوني مسلمين" النمل 31 . وقوله " فما آتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون" النمل 36 و قوله " فلنأتينهم بجنود لا قبل لها بها " النمل 37. وقوله " قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين" النمل 38 .و قوله " قال عفريت من الجن أنا آتيك به " النمل 39 . وقوله " قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به " النمل 40.

فترى كل كلمة بل كل حرف وضع في مكانه اللائق و المناسب على الرغم من تشابه الجملتين في المعنى و الأسلوب و المضمون .

و من أمثلة هذا الحشد الفني ووضع الألفاظ حسب السياق قوله عز وجل " الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا " طه 53 .

وقوله تعالى " الذي جعل لكم الأرض مهدا و سلك لكم فيها سبلا " الزخرف 10 .

فلقد ذكر في طه لفظة (سلك) و في الزخرف (جعل) ولعل من أسباب ذلك أن فعل الجعل ورد في الزخرف أكثر مما في طه . حيث ورد في الزخرف هذا الفعل اثني عشرة مرة . وورد في طه ثلاث مرات[1] فقد جاء في الزخرف في قوله " إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون " الزخرف 3 . وقوله " الذي جعل لكم الأرض مهادا و جعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون : الزخرف 10 . وقوله " وجعل لكم من الفلك و الأنعام ما تركبون " الزخرف

---

1) التعبير القرآني ص 215

12. وقوله " وجعلنا له من عباده جزءا" الزخرف15 . وقوله " و جعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمن ،ناثا" الزخرف 19. وقوله " و جعلنا كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون" الزخرف 28 . وقوله " ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة " الزخرف 33 . وقوله " اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون " الزخرف 45 . وقوله " فجعلناه سلفا و مثلا للآخرين" الزخرف 56. و قوله " إن هو إلا عبد أنعمنا عليه و جعلناه مثلا لبني إسرائيل" الزخرف 59. و قوله " ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون" الزخرف60.

أما فعل (الجعل) في سورة طه فلقد ورد قوله " واجعل لي وزيرا من أهلي " طه 29 . وقوله " الذي جعل لكم الأرض مهادا" طه 53 . وقوله " فلنأتينك بسحر مثله ، فاجعل بيننا و بينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى " طه 58.

فكما نلاحظ أن المقامين متشابهان ولا فرق بينهما في المضمون ، و حتى في العبارات، ما عدا ذكره (جعل) في طه (سلك) في الزخرف و ذلك حسب مل يقتضيه السياق[1] .

فوضع كل لفظة في مكانها اللائق بها تماما . فاختار الألفاظ لا يكون مصادفة أبدا . وإنما هو أمر مقصود لخدمة الناحية الفنية في أدق معانيها و أكمل صورها .

---

1) التعبير القرآني ص 298

الخـــاتـمـــة

الخاتمة

في ضوء ما سبق في الفصول البحث من التوصل إلى بعض النتائج الجزئية يمكنني أن أستخلص النتائج العامة التي اشتملت عليها هذه الدراسة المتواضعة و هي كما يلي :

1- للجملة العربية جانبان أساسيان فالجانب الأول يهتم باللفظ و يلحق بالإعراب أي الجاني الجانب النحوي . أما الجانب الثاني فيهتم بالغرض و هو الجانب البلاغي .

2- مرد الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم يرجع إلى ما حظي به من مطابقة بين اللفظ و المعنى .

3- حظي التشابه في القرآن الكريم بالدراسة النحوية و البلاغية دونما تباين كبير في المنهج و الهدف و إن كان تركيزنا على الجانب البلاغي .

4- كانت نظرة البلاغيين للتشابه القرآني نظرة أسلوبه فنية أما نظرة النحويين فكانت بحسب الأدوات و المواقع .

5- الجمل القرآنية المتشابهة مع غيرها لا تختلف عنها إلا في موطن ضئيلة كأن يكون الاختلاف في حرف أو في كلمة .

6- إذا تأملنا الاختلافات الموجودة بين الجمل القرآنية المتشابهة نجدها أمرا مقصودا في كل جزئية من جزئياته قائما على أعلى درجات الفن و البلاغة و الإعجاز . فكل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعا فنيا ، ولم تراع في هذا الوضع ، الآية و حدها و لا السورة و حدها ، بل روعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله .

7- تنتهي الجمل القرآنية المتشابهة بفواصل منسجمة موسيقيا مع بعضها البعض حسب ما يقتضيه المقام ، فقد يقدم كلمة أو يؤخرها انسجاما مع فواصل الآيات فمثلا يقول عز وجل" رب موسى و هارون" (الشعراء 48) . بتقديم موسى على هارون و يجعل كلمة (هارون) نهاية الفاصلة انسجما مع الفواصل السابقة و اللاحقة ، و مرة يجعل كلمة (موسى) هي النهاية الفاصلة فيقول " برب هارون و موسى " (طه 8) لأن الألف التي تنتهي بها تناسب فواصل الآية في سورة طه . فمن جهة يراعى الانسجام الموسيقى و من جهة أخرى يراعي ما

يقتضيه الكلام فلم يجر موطن على آخر و هذا غاية الإعجاز و نهاية الحسن في الكلام .

8- و بما هذا البحث قد جمع الدراستين النحوية و البلاغية ، فقد جاءت طبيعة الدراسة تكاملية حيث التشابه بأدواته و مواقعه و حركاته في الدراسة النحوية ، و بمعانيه و أساليبه و فنونه في الدراسة البلاغية .

وبعد : فلا أحسب أن ما أثبته في هذا البحث هو كل درس التشابه في القرآن الكريم ، بل لقد اكتفيت بإبراز مظاهر التشابه في بعض الآيات القرآنية ، مستعينة في ذلك بمستوى التحليل و مستوى التركيب ، و غايتي في هذا إبراز المقصدية القرآنية لهذا النوع من التعبير.

و في الأخير فهذه رسالتي " الجمل المتشابهة من خلال القرآن الكريم" فعسى أن أكون قد وفيت الجانب حقه من العناية ، و أن تكون ثمرة هذا الجهد على قدر ما بذل من أجله ، " وما توفيقي إلا من الله عليه توكلت و إليه أنيب "

المصادر و المراجع

1- آرث جفري (مقدمتان في علوم القرآن) مقدمة كتاب المباني و مقدمة ابن عطية ط 2 .1979 .
2- ابن جني أبو الفتح عثمان.الخصائص دار الهدى للطباعة بيروت.ج1 ط 2(د.ت)
3- ابن الزبير الغرناطي . ملاك التأويل القاطع بذوي الغلحاد و التعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل. تحقيق سعيد الفلاح . ج 1 .ط.1 – 1983-1403- دار الغرب الإسلامي لبنان .
4- ابن ذريد " جمهرة اللغة " دار صادر للطباعة . ط . 1 (د: ت) ج 2.
5- إبن عقيل شرح إبن عقيل على ألفية ابن مالك . دار الكتب العلمية . بيروت ط 1 (د: ت) ج1
6- ابن كثير أبوالفداء عماد الدين إسماعيل تفسير القرآن العظيم .. دار المعرفة بيروت ط 1 – 1986-1406.
7- ابن المنظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم لسان العرب– دار بيروت للطباعة د.ط د.ت.ج11
8- ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.(د.ط)(د.ث) ج 2 .
9- البوطي رمضان . من روائع القرآن الكريم. مكتبة الفارابي دمشق ط 3 . 1975
10- توفيق محمد السبع . واقعية المنهج القرآني المكتبة العصرية . صيدا .بيروت 1983 .
11- ثلاث رسائل في الإعجاز القرآني (الخطابي ، الراماني ، الجرجاني).
12- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر . البيان و التبيين . تحقيق عبد السلام هارون. در الجيل بيروت (ط 3) (د.ت) .
13- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن. دار الكتب العلمية ط 1 1988 . ج 1 و 2 .
14- السرائي فاضل صالح . التعبير القرآني جامعة بغداد.ت 1986 – 1987 . د.ط .
15- السكاكي أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم. دار الكتب العلمية .بيروت (د.ط).(د.ت) .
16- سيبوية أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر. الكتاب تحقيق عبد السلام محمد هارون .دار الجيل بيروت . ط 1 . 1991 م
17- سيد أحمد الهاشمي جواهر البلاغة في المعاني و البديع ط .6 مطبعة الاعتماد . مصر (د.ت).
18- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال. الإتقان في علوم القرآن . دار الفكر للطباعة و النشر والنشر والتوزيع بيروت ط.3 1370 هـ
19- الصابوني محمد على : الشبيان في علوم القرآن.مكتبة الرحاب ط.3 د. ت.

20- الطاهرين عاشور التحرير و التنوير . الدار التونسية للنشر– (د:ت)الأجزاء من 1 إلى 16.
21- عباس حسن . النحو الوافي . دار المعارف . مصر .ط 5 (د:ت) ج 1.
22- عبد الحفيظ طالبي . دروس في الصرف العربي . دار الغرب للنشر. ط 1. 2002
23- عبد القاهر الجرجاني أبو بكر بن عبد الرحمن دلائل الإعجاز. دار الكتاب العربي بيروت ط 3 . 1417 –
24- غازي عناية : هدى الفرقان في علوم القرآن دار الشهاب باتنة 1988 ج 1
25- فخر الدين قباوة. إعراب الجمل و أشباه الجمل.دار الأفاق الجديدة.بيروت ط3(د: ت).
26- قطب سيد . مشاهد يوم القيامة . دار المعارف مصر . ط 5 .1976 .
27- محمد زكي هشماوي . قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث . دار الطباعة . النهضة العربية (د : ط) .
28- محمد الطيب الابراهيم " إعراب القرآن" دار النفائس للطباعة.ط1.(د: ت)
29- محمد فؤاد عبد الباقي . معجم ألفاظ القرآن . دار العلم (د . ط).(د : ت)
30- محمد الصغير بناني . النظريات اللسانية و البلاغة و الأدبية عند الجاحظ . ديوان المطبوعات الجامعية (د : ت) .
31- مختار بوعناني . نحو الجمل تحقيق التعليقات الوفية على شرح الأبيات الثمانية للعلامة عبد العزيز محمد بن يوسف . الفجر للكتابة و النشر . وهران .
32- مصطفى جطل . نظام الجملة عند اللغويين العرب في القرنين 2 و3 . (د ط).(د: ت).
33- مناع قطان . مباحث في علوم القرآن . مؤسسة الرسالة . ط 24 .(د : ت)

المجلات

و الرسائل الجامعية

المجلات

1-مجلة منبر الإسلام . العدد .6 مصر . جمادي الثانية 1395 هـ .

الرسائل الجامعية

1- محمد موسوني الجواب في القرآن الكريم إشراف د. شايف عكاشة – جامعة تلمسان – 2000 م .
2- مصطفاوي عبد الجليل . صور البيان في تفسير الزمخشري . إشراف د . الزبير دراقي – جامعة تلمسان – 1422 هـ / 2001 م

الفهرس

فهرس الموضوعات

الموضوع ..... الصفحة
الإهـــــداء .
المقدمة ..... أ-هـ
المدخل ..... 1 - 15

لفصل الأول..... 16 - 49
لبناء اللغوي للجملة القرآنية المتشابهة....21

- التقديم و التأخير.....23
- إبدال حرف لحرف آخر.....29
- أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه 33
- ما يشتبه بالزيادة و النقصان.....36
- ما يشتبه بالتعريف و التنكير.....40
- ما يشتبه بالجمع و الإفراد.....43
- ما يشتبه بالإغام و تركه.....46
- إبدال كلمة بكلمة أخرى.....48

الفصل الثاني..... 50 - 83
- مظاهر البيان في الجملة القرآنية المتشابهة..52
- التوكيد.....53
- الذكر و الحذف.....60

- الإيجاز 70
- التكرار 75
- الحشد الفني في الجمل القرآنية المتشابهة . 83
- الخاتمة 92
- المصادر و المراجع 95
- الفهرس 102-101